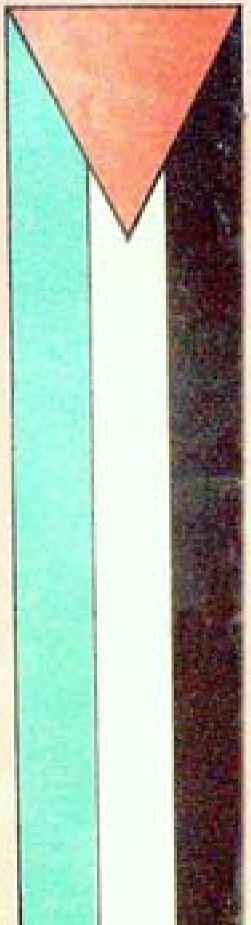


المناضل

في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية

المجلة الداخلية لحزب البعث العربي الاشتراكي
يصدرها مكتب الإعلام والنشر في القيادة القومية

في هذا العدد :

العدد : ١٩٤ آذار ١٩٨٦

المناضل
في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية
[illegible]
[illegible]

المحتويات



الافتتاحية

لمن يقرعون طبول الحرب؟

الرفيق الدكتور فواز صياغ
عضو القيادة القومية الاحتياط
« رئيس التحرير »

تتوالى الاحداث متصاعدة في المنطقة العربية وذلك بسبب استمرار السياسة الامريكية ـ الصهيونية العدوانية ومعروف ان الولايات المتحدة الامريكية بالتعاون والتنسيق مع الكيان الصهيوني الاستيطاني تحاول البحث عن امكانات تؤمن انفاذ الحلول الاستسلامية في منطقتنا لتساعد في تنفيذ مخططاتهم الامبريالية بعد ان توقفت اتفاقات كامب ديفيد عند حدودها النهائية وهذا الامر يقف وراء تصعيد حدة التوتر في المنطقة العربية من اجل ايجاد مخرج ملائم من مأزقه عبر خلق وضع عسكري واقتصادي وسياسي يدفع بالمنطقة الى تقبل الحلول الاستسلامية الامريكية ـ الصهيونية المشتركة .

لذلك نرى السياسة الامريكية ـ الصهيونية تتخذ كل يوم
اشكالا وابعادا جديدة وخطرة في هذه المنطقة منها مثلا محاولات
الضغط الاقتصادي على القطر العربي السوري من ناحية وعلى
الدول العربية النفطية من ناحية ثانية على طريق تخفيض الاسعار
العالمية للنفط وارباك ميزانيات هذه الدول ومنها محاولات الضغط
العسكري باستخدام مبدأ العمليات العسكريةالعدوانيةوتصعيدها ،
مثلما راينا في المناورات العسكرية الامريكية قبالةالشواطيءالليبية،
واستفزاز الشعب العربي الليبي والامة العربية عبر ضرب الاراضي
الليبية لارهاب العرب ، ومنها ايضا عمليات الضغط المتواصلة التي
تقوم بها السلطات الاسرائيلية في فلسطين المحتلة وبشكل خاص في
مرتفعات الجولان والاجراءات القمعية في مواجهة عمليات المقاومة
البطولية هناك ، وكذلك جنوب لبنان حيث تقيم القوات الصهيونية
لها شريطا حدوديا على ارض الجنوب يساعدها في احتلال هذا
الجزء من الارض العربية بواسطة ما يسمى بجيش لبنان الجنوبي
او جيش انطوان لحد العميل .

وكما هو معروف ايضا هناك اتفاق تم بين حزب العمل
الاسرائيلي وتكتل الليكود على اساس اقتسام السلطة في داخل
الكيان الصهيوني ومعروف ايضا ان الولايات المتحدة ترغب
باستمرار حزب العمل الاسرائيلي في الحكم، خاصةوان هذا الحزب
يمكن ان يساعدها اكثر في دفع السياسة الامريكية في المنطقة
وتفهم دورها والاشتراك في ايجاد الحلول التي تخدم الطرفين على
حساب العرب وحقوقهم . ويشارك الولايات المتحدة هذه الرغبةعدد
من دول اوروبا الغربية واحزابها الاشتراكية الحاكمة وكذلك بعض
الانظمة العربية الموالية لامريكا و « اسرائيل » في المنطقة . في حين
لا تساعد تجربةكتلة الليكود في التعامل مع الولايات المتحدة الامريكية
بهذا الشان في دفع السياسة الامريكية في ذاك الاتجاه لانها تجربة
ملأى بالتعقيد والمصاعب . والاتفاقية المعقودة بين حزب العمل
الاسرائيلي وتكتل الليكود توجب ان يسلم حزب العمل الى كتلة
الليكود السلطة في الكيان الصهيوني في شهر تشرين الاول القادم
ومن اجل الا يتحقق ذلك ولضمان رغبته في البقاء في السلطة ، يعتقد
حزب العمل ان هذا الامر يمكن ان يتم بواحد من طريقين ، الطريق

الاول هو اجراء انتخابات نيابية مبكرة داخل فلسطين المحتلة تضمن
حصوله على اغلبية برلمانية في الكنيست الصهيوني تؤهله لتشكيل
حكومة جديدة يستغني فيها عن شراكة الليكود وتدخله . وهذا
الاحتمال وارد ولكن مسالة ضمان حصول حزب العمل الاسرائيلي
على هذه الاغلبية في الكنيست الصهيوني امر غير مضمون بسبب عوامل
كثيرة ربما كان منها المزاودات الداخلية وسياسات التعنت الصهيوني،
وتأثير سياسة المنظمات الصهيونية العالمية مما قد لا يتيح لحزب العمل
الاسرائيلي تحقيق مايامله .

والطريق الثاني لتحقيق ذلك هو احتمال احداث تغييرات
عسكرية وسياسية في المنطقة العربية تضمن انتصارا معينا لهذا
الحزب ، وتخلق ظروفا عسكرية وسكانية وجغرافية وسياسية
جديدة على الارض توجد المسوغ الكافي الذي يسمح ببقاء حزب
العمل الاسرائيلي في السلطة ، سواء لاستكمال مابداه او للخوض
في غمار مفاوضات سياسية جديدة في ضوء الواقع المستجد .
ولتنفيذ ذلك يجب القيام بعمل عسكري سريع وفعال من قبل
القوات الصهيونية على المنطقة العربية سواء كان على سورية
الصامدة ، وهي المرشحة بالدرجة الاولى لاسباب عديدة سناتي على
ذكرها ، او كان ذلك في جنوب لبنان مرة جديدة او في مناطق عربية
اخرى ، كان يعد الكيان الصهيوني مع الولايات المتحدة الامريكية
عدوانا مشتركا على الجماهيرية العربية الليبيةمثلا . وكنتيجة لذلك
يفكر العدو بتحقيق بعض المكاسب وخلق معطيات سياسية جديدة
في المنطقة العربية تفرض على الاطراف المختلفة الجلوس الى طاولة
المفاوضات ، تماما كما حدث بعد حرب تشرين التحريريةعام ١٩٧٣ .
وعندئذ يعاد طرح المشاريع السياسية الاستسلامية المرسومة للمنطقة
وهذا يتطلب بقاء حزب العمل الاسرائيلي فترة اطول في السلطة
لاستكمال ماكان قد بداه . هنا تتكشف حقائق المشاريع الامريكية ـ
الصهيونية مسفرة عن وجهها في منطقتنا بوضوح تام والتي تتيح للحالمين
انجاز اتفاق سياسي يضمن تحقيق الحلم الامريكي ـ
الصهيوني بالسيطرة على الوطن العربي وتوسيع رقعة الحدود
الحالية للكيان الصهيوني او تثبيتها عند المواقع التي تصلها القوات
الصهيونية ، او بفرض شروط استسلامية اخرى على العرب تخدم

ذلك التوجه الامبريالي، مستغلين في ذلك الوضع الاقتصادي المنهار لدول المنطقة بعد هبوط أسعار النفط العالمية ، ومستغلين انشغال كثير من الدول العربية بمشكلاتها الداخلية والاقتصادية وغيرها . وكانت الولايات المتحدة الامريكية قد الححت الى ذلك عندما ادعت خشيتها حدوث تغييرات اجتماعية وسياسية داخل بلدان النفط العربية بعد هبوط أسعار نفطها ، ومستغلين في ذلك استمرار الحرب العراقية ـ الايرانية وابتعاد العراق عن جسم الامة العربية وإلهاءه في معركة جانبية مع ايران التي يفترض ان تكون في صف الامة العربية وقضيتها المركزية فلسطين ، ومستغلين بذلك استمرار ابتعاد مصر عن موقعها العربي القومي .. الى آخر هذه المسائل التي يستغلونها من اجل تهيئة ظروف انسب في المنطقة لطرح حلول استسلامية جديدة فيها ومتابعة سير مفاوضات جديدة من خلال توجيه ضربة عسكرية جديدة وخلق متغيرات ومعطيات تؤمن ذلك .

وكما ذكرت فان سورية الصامدة هي بالدرجة الاولى المرشحة لتلقي هذا العدوان على نحو اساسي ، اما لماذا .. فلأن سورية كما هو معروف باتت هي الثقل الوحيد الموجود الان في الامة العربية ، التي تواجه العدو الصهيوني وهي بطاقاتها وشعبها وحزبها وقيادتها ، هي الوحيدة التي تقاوم هذه المشاريع السياسية والحلول الاستسلامية والتصفوية الامريكية ـ الصهيونية الساعية الى فرض الاستسلام على العرب ، وسورية هي التي تبني جيشها العقائدي وقواته المسلحة ، واقتصادها وتعد بنيتها الاجتماعية والاقتصادية لمواجهة هذا العدو بكل ما يمثله . وسورية هي التي تقيم تحالفا استراتيجيا ومتينا مع القوى القومية الوطنية العربية وفي طليعتها المقاومة الوطنية الفلسطينية الرافضة للحلول الاستسلامية التي تقيم ايضا تحالفا وصداقة مع دول المنظومة الاشتراكية وعلى الاخص مع الاتحاد السوفييتي الصديق . وهنالك اتفاقية صداقة وتعاون معقوده معه ، موضوعة ومطبقة ومحترمة من كلا الجانبين العربي السوري والسوفييتي . وسورية هي اليوم التي تشكل مركز الثقل الاساسي في لبنان وهي التي تعمل على ان يعود لبنان الى حالته الطبيعية ، الى وحدته ، والى تماسكه ، الى تقدمه وعلاقته عضوا في جسم الامة العربية عبر اسقاط المشاريع السياسية التي

تحاول الصهيونية فرضها عليه وقطع كل علاقة ايا كان شكلها معها كما حدث بالغاء اتفاق « ١٧ ايار » السيء الذكر ، او عبر مقاومة جيش العملاء في جنوب لبنان والقوات الصهيونية هناك . وسورية هي التي تغذي المقاومة الوطنية اللبنانية ضد الوجود الاسرائيلي وضد الهيمنة الصهيونية في لبنان . وسورية هي التي تحاول ان توقظ في العرب نزعة مقاومة الصهيونية ومشاريعها ومقاومة السياسة الامريكية ومشاريعها . وسورية هي التي تحاول ان توحد الامة العربية في سبيل وحدتها وحريتها وتحقيق حياة افضل لجماهيرها .

وسورية هي التي تعمل جاهدة لبناء توازن استراتيجي مع العدو الصهيوني . لهذه الاعتبارات كلها ، سورية هي التي تكون دوما مستهدفة من قبل العدو الصهيوني وهدفا لضرباته العسكرية ، وكما نتابع فان ما يؤكد ذلك اليوم ، التهيئة الصهيونية النفسية للرأي العام العالمي التي تقوم بها الدوائر الصهيونية والامريكية في العالم ، والتي تدعي ان سورية هي التي ترعى الارهاب وتشجعه .. وهي التي تقف حجر عثرة في وجه مشاريع السلام الامريكية ـ الصهيونية في المنطقة . وكما هو واضح فان العدوان يستهدف سورية اولا ومن خلال ضرب سورية تستطيع الامبريالية الامريكية ـ الصهيونية اركاع بقية العرب ثانيا ، واخضاعهم او إعطاءهم درسا بان هذه القوة الاساسية التي تتفاخرون بها والتي تعتزون بها استطعنا ان نلقنها الدرس المناسب . وكما نرى الآن فان عملية تحريض الرأي العام العالمي عبر الدعاية الامبريالية الصهيونية الامريكية متواصلة ضد سورية بدعوى امتلاكها اسلحة كيماوية ورعايتها للارهاب وتشجيعه ويعطون امثلة على ذلك . كدعم سورية للعمليات المقاومة الوطنية الفلسطينية داخل فلسطين المحتلة والانتفاضة العرب السوريين في هضبة الجولان المحتلة ، ولمقاومة الشعب العربي في لبنان للوجود والهيمنة الصهيونية .. ان هذه العمليات المشروعة التي تغذيها سورية وتشجعها وتحاول الدعاية الصهيونية الامريكية اعطاءها صفة الارهاب انما يعني انه ستستخدم كغطاء لاي عمل عسكري قادم موجه ضد سورية . وسورية الرافضة لهذا المنطق الامبريالي تعرف تماما ان الرد الوحيد عليه هو بالاستعداد الكامل للرد على هذا العدوان والاستمرار

في مواقفها النضالية الثابتة دفاعا عن الامة العربيـة ومصالحها القومية العليا .

ان العدوان الامبريالي الصهيوني قد دخل مرحلة المد العكسي كما يبدو ، وما يجري هناك على الحدود في لبنان والجولان من انتشار قتالي لقوات العدو واستدعاء الاحتياطه واطلاق عنان التهديدات للقطر ، كل ذلك يذكر بأجواء الحرب التي تمت التهيئة الكاملة لها . وفي هذه الحالة فعلى الرفاق البعثيين التنبه الى مثل هذه السياسة الخبيثة ، وان يكونوا على اتم استعداد ، كل في مجال عمله ، لتوجيه الرد المناسب دوما ، وتلقين العدو الصهيوني وسياساته العدوانية الدرس الذي يجب ان يعطى له في مثل هذه الحالات .

دراسات سياسية

الثامن من آذار .. ثورة الجماهير الكادحة

الرفيق: عدنان مسلم

❋ مقـدمـة :

يقال في اللغة ثار البركان ، وثار الرجل ، وفي ضوء ذلك فالثورة تعني الاندفاع الناجم عن تجمع أو اختزان القوة .

والثورة بالمعنى الاجتماعي هي احداث تبدلات (تغيرات) عميقة جذرية وشاملة في حياة المجتمع الاقتصادية والسياسية والايديولوجية وغيرها . انها التغير الشامل والكامل الذي يحدث عندما تصبح القوى القديمة على اختلاف انماطهـا واشكالها غير قادرة علـى مواجهة متطلبات المجتمع القائم .

وهي اي (الثورة) من الوجهة العملية او التطبيقية تتضمن الانتقال من تشكيلة اقتصادية اجتماعية الى اخرى ونقل السلطة السياسية والاقتصادية من يد طبقة اجتماعية معينة الى يد طبقة اجتماعية اخرى جديدة .

ان المعنى الحقيقي للثورة هو تغيير النظام في المجتمع على وجه تحقيق ارادة الشعب او اغلبه .. فهي ليست رغبة جانحة ، ولكنها حل حتمي لمشكلة موضوعية خلقها النظام القانوني القائم . بحيث تسلب الجماهير المقدرة على تحقيق ارادتها ديمقراطيا ، لايكون امامها الا طريق الثورة .. (١)

وفي ضوء ذلك . فثورة الثامن من آذار تعني نظريا قلب الواقع الذي عاشه القطر العربي السوري منذ الاستقلال وحتى ١٩٦٣ ؛ وهي من الوجهة التطبيقية تتضمن الانتقال من طبقة الاقطاع والبرجوازية الى الطبقة الكادحة التي فجرت ثورة آذار واستطاعت ان تتقلد زمام السلطة . ومن هنا فالحديث عن ثورة آذار لايمكن فصله عن نضال حزب البعث العربي الاشتراكي ودوره في القطر العربي السوري . لان الثورة كما بينا سابقا هي اداة او اسلوب لتحقيق الغاية او الهدف فلا ثورة دون تنظيم ثوري تقدمي يقود هذه الثورة . ويكون الطليعة التي تستطيع بفعل ارادتها المنظمة ، وانتمائها الطبقي الكادح ان تحقق غاية الثورة وهدفها ؛ فهذه الثورة اي (ثورة آذار) ماهي الا تتويج لنضال حزب البعث العربي الاشتراكي القومي خلال سنوات طويلة من الكفاح العنيد ، استطاع خلالها ان يرسخ في اذهان الجماهير الاهداف الاساسية المعبرة عن تطلعاتها الى بناء مجتمع متحرر .. (٢)

---

(١) ــ د . عصمت سيف الدولة ، نظرية الثورة العربية ، ص ٩٨

(٢) ــ نضال حزب البعث العربي الاشتراكي ، ص ٩٧

ان نظرة سريعة الى نضال هذا الحزب منذ الاربعينات وحتى قيام الثورة تبين دوره الرائد والقائد في تغيير النظام الاقتصادي ــ الاجتماعي ــ والسياسي في القطر العربي السوري على وجه تحقيق ارادة الشعب بمختلف فئاته الجماهيرية ، فقد اعتبر ان الثورة ضرورة حتمية لتخليص الشعب من الاغلال والتخلف ومقابلة التحدي ، والتطلع الى المستقبل مؤكدا قدراته في تحقيق ذلك ، وارادته الجماهيرية وطليعته الثورية ، ووعيه العميق لحركة التاريخ ومايتعلق منه بالتاريخ العربي عموما ، وتاريخ نضال القطر العربي السوري بشكل خاص .

لقد جاء في البيان الاول (لحركة البعث العربي) : **نمثل التاريخ العربي ضد الرجعية الميتة والتقدم المصطنع ، ونمثل الجيل العربي الجديد ..**

كما كان للحزب الدور المهم في فترة الاستقلال السياسي . وقد تعدد هذا الدور في المطالبة بالاستقلال . وجلاء الفرنسي . وتصفية المؤسسات الاقتصادية التي تخضع لسلطات الاحتلال ونفوذها . والدفاع عن الحياة الديمقراطية والدستورية . كما كان له الدور المناهض للحكومات الدكتاتورية التي اعقبت فترة الاستقلال ودحض كل المخططات الامبريالية التي كانت تسعى الى فرض الهيمنة الامريكية على المنطقة العربية . وكان الامين الصادق لتحقيق الوحدة العربية مع القطر المصري الشقيق . والمناهض القوى في وجه قوى الانفصال التي اطاحت بذلك المشروع العربي الذي كان ينشد منه طريقا لتحقيق المجتمع العربي الاشتراكي الموحد ، وهكذا الى ان كانت الثورة (ثورة آذار) وشكلت بذلك منعطفا سياسيا . واقتصاديا . واجتماعيا في تاريخ سورية باعتبارها الرد العملي والحاسم على واقع التخلف والتجزئة والرفض القاطع لايديولوجية الانفصال وكل العاملين لتكريسه ، ووضع شعبنا في الطريق الموصل الى بناء مجتمعه الجديد .

★★ اهمية ثورة آذار وسماتها :

تأسيسا على ماسبق ؛ تكمن اهمية ثورة الثامن من آذار من خلال كونها :

آ ــ ثورة وحدوية جماهيرية طبقية .

ب ــ ثورة اشتراكية تقدمية .

ج ــ ثورة حزب البعث العربي الاشتراكي لتسلم قيادة الدولة والمجتمع .

د ــ ثورة ديمقراطية حققت للشعب الكادح (الطبقي) حكم نفسه بنفسه ومن بين ميزاتها نشير الى المؤشرات التالية :

ــ انها جاءت متناقضة جذريا مع العهد الذي سبقها :

فجاءت باسم الوحدة وسارت في طريقها خطـوات ، وكـان الحكم السابق انفصاليا ، مهمته ترسيخ القطرية .. وجاءت باسم الشعب العربي الكادح ، وكان الحكم حينذاك (اقطاعيا ــ برجوازيا) وجاءت ضد الاستعمار والامبريالية والصهيونية ، وكان الحكم حينذاك تابعا عميلا .. وجاءت من اجل الاشتراكية ، وكان الحكم حينذاك ليبراليا وجاءت باسم الثورة ، وكان الحكم حينذاك رجعيا معتبر الاصلاح خطوة كبرى .. (١) .

ــ لقد حققت سمة التغير الجذري الشامل في بنيـة المجتمع التحتيـة والفوقيـة ،

فعبرت القوى المنتجة المرتبطة بالطبقة الاقطاعية والبرجوازية وحولت وسائل الانتاج الى الشعب فكان التأميم وتشكل القطاع العام وانتقلت السلطة السياسية لاول مرة الى قوى اجتماعية جديدة فـي المجتمع . وبدأ المجتمع بعلاقاته الانتاجية وقواه الاساسيـة وكأنه مجتمع جديد .

ــ مواجهتها لتناقضات سياسية واجتماعية داخلية واهمها :

١ ــ الدخول في صراع دائم بين الحزب والفئات الناصرية في ذلك الحين مما انعكس على مسيرة الثورة بالضرورة .

(١) فائز اسماعيل ، مع البعث ص ٩٦

٢ ــ العقلية اليمينية المتخلفة لقيادة الحزب آنذاك التي اثبتت الاحداث تخلفها وعجزها عن استيعاب مرحلة التطور ..

٣ ــ طبيعة الثورة وبنيتها انذاك .. (كضعف التنظيم الحزبي والظواهر المرضية التي غرق بها التنظيم الحزبي واجهزة الحكم وغير ذلك) .. (٢) .

ــ الظروف الموضوعية التي كانت تحدد طبيعة النظام في القطر

حيث كانت ملكية وسائل الانتـاج بيد فئة مـن الاقطاعيين أصحاب السلطة الاقتصادية والسياسية معا ، هذه الطبقة الاقطاعية المتحالفة مع البرجوازيين من التجار واصحاب رؤوس الاموال ، وفي كثير من الاحيان اخذت طابعا هجينا من الاقطاعية والبرجوازيين . وفي الريف فان علاقة الاستعباد والاستغلال كانت هي العلاقـة القائمـة بين الاقطاعي والفلاح ، لذلك كان الريف يعيش حالة من الجوع والفقر المدقع وحرمانا من جميع الخدمات المتخلفـة ناهيـك عن الانهيار في العلاقات الاجتماعية .

وكذلك بالنسبة لنظام الحكم حيـث كان الطابـع العسكري الديكتاتوري هو الذي يقود العمل السياسي والسلطوي وهذا ماانعكس على الجيش الذي كان يؤمر بامر هذه القيادة والنظام .

ــ الظروف الذاتية التي كانت تعيش حالة الازدواجية والتناقض

فهناك البرجوازية الوطنية المتذبذبة التي تتارجح مع طبيعة مصالحها الذاتية ، والقوى الرجعية الاقطاعيـة ــ البرجوازيـة ، والقوى الاجتماعية الكادحة كالعمال والفلاحين وامثالهم الذين عانوا حتـى تحققت مصالحهم الحقيقية بقيام الثورة ، وقد انعكس هذا ايضا على ساحة العمل السياسي الحزبي حيث نمت وتنازعت تيارات واتجاهات فكرية وسياسية عديدة اهمها :

(٢) نضال حزب البعث ، ص ٩٩

— اتجاه تزعمه حزب البعث العربي الاشتراكي الذي نادى بالتغيير الثوري الجذري على اسس اشتراكية وحدوية تحررية .

— اتجاه تزعمه حزب الشعب الذي يريد ابقاء الوضع كما هو دون تغيير .

— اتجاه تزعمه الحزب الوطني الذي كان يريد كسب مقاعد جديدة في الانتخابات البرلمانية لمناقشة حزب الشعب .

ناهيك عن وجود اتجاهات اخرى كان كل منها يتمتع بخصوصية تنبع من طبيعته الخاصة ومراميه المنشودة .

وانطلاقا من كل ذلك استوعب حزب البعث العربي الاشتراكي كل التناقضات السائدة ، وادرك طبيعة الظروف الموضوعية والذاتية التي كان يعيشها القطر ، اي انه درس الظروف التي سبقت الثورة وحدد القوى التي تقف عائقا في وجهها والقوى ذوات المصلحة الحقيقية في قيامها .

★★ — منهاج الثورة ومهماتها :

ان هذا الواقع الذي بيناه للمجتمع في القطر العربي السوري ببنيته التحتية والفوقية صعد حدة الصراع والتناقض بين من يملك ومن لايملك بين الاقطاعي والفلاح ، والبرجوازي والعامل ، وهذا هو القانون الاجتماعي الذي حددته مسيرة التاريخ ، وما ثورة آذار الا تظهير جديد لهذا القانون وضرورته .

وفي ضوء ذلك جاء في المنهاج المرحلي لثورة الثامن من آذار :

وفي هذا القطر استطاعت الحركة الشعبية تحريك ضمير الجماهير وتنظيمها وقيادتها ضد مؤسسات الواقع الفاسد وضد افكار المجتمع القديم متحدية قوى الرجعية والاقطاع والاستعمار ، مصطدمة معها في سلسلة من معارك الشعب الخالدة التي بذل فيها الكثير من التضحيات وانتهت بانتصار حركة الشعب صبيحة الثامن

من آذار ١٩٦٣ ، وكان ذلك نهاية لنظم الحكم القديمة واوضاعه المترديه وبداية للنظام الثوري الجديد . . .

ان الطبقات الاقطاعية والبرجوازية التي جربها الشعب فشلت في تحقيق التقدم والتنمية الصحيحة ، وفشلت في الارتفاع فوق مصالحها الطبقية الضيقة وفشلت في حماية فلسطين ، ولا مناص لها الان الا ان تتخلى عن افكارها القديمة في شكل الحكم ومبادئه وعن تشبثها اللامشروع بقيادة البلاد وان تخضع مصالحها الضيقة لمقتضيات المصلحة العامة فهي كفئة اجتماعية تستطيع ان تجد لها مكانا في المجتمع الجديد وذلك على طريق تسليمها بالثورة وبمبادئها وتنفيذ جميع مارسم من خطط عملية . . (١) . .

وبعد ان نجحت الثورة وتقلدت موقع المنتصر ماذا جرى ؟

ان الاجابة عن هذا السؤال يتطلب الوقوف عند مهمات الثورة الكثيرة والعظيمة . لقد جاء في منهاج الثورة المرحلي :

« . . ان القيادة القطرية تعلن باسم الشعب العربي في هذا القطر وسائر الاقطار العربية انها ستقود البلاد في المرحلة القادمة وفق الاسس الواردة في هذا المنهاج* وانها ستناضل بلا هوادة لتحقيق ما يلي :

١ — تقوم العلاقات الخارجية للجمهورية العربية السورية على اساسيين رئيسيين هما تحقيق اهداف الشعب العربي في الوحدة والحرية والاشتراكية ودعم كفاح الانسانية من اجل التحرر والتقدم .

---

(١) — المنهاج المرحلي لثورة الثامن من آذار ، ص٧ — ٨

* انظر المنهاج المرحلي لثورة الثامن من آذار في القطر العربي السوري ، الذي اقره المؤتمر القطري الاستثنائي لحزب البعث العربي الاشتراكي المنعقد في حزيران ١٩٦٥ .

٢ — ان محور السياسة الداخلية للدولة هو بناء ديمقراطية شعبية . وتصدر هذه السياسة عن مبادىء رئيسة في علاقة المواطن بالدولة . فالانسان ذو قيمة رفيعة وكرامته محترمة وحريته مصونة .

٣ — نظرا لما للوضع الاقتصادي من اهمية خطيرة في حياة المواطنين في وضع البلاد عموما . تعير حكومة الثورة اهمية خاصة للسياسة الاقتصادية فهي تعتبر الاقتصاد امرا جديا يجب ان يعالج بروح المسؤولية وبصورة علمية بعيدة عن الاهواء والرغبات الشخصية . وان تتسم تلك المعالجة بالاستقرار والثبات وان تتسلح بأحدث ما توصل اليه العلم في هذا المجال . .

٤ — ان توفير الخدمات الاجتماعية بمختلف انواعها للشعب هدف من اهداف الثورة . اذ لايمكن ان يسمح نظامنا الاشتراكي ببقاء الجهل والمرض والخوف من المستقبل في المجتمع . لذلك تلتزم الثورة بتوفير الحد الادنى الضروري من الخدمات العامة لجميع المواطنين خاصة للطبقات الكادحة الفقيرة .

وتوفير هذه الخدمات يرمي الى ربط عملية التنمية والتحويل الاشتراكي . اي ربط تقديم الخدمات بزيادة الانتاج . .

٥ — ان خلق جيل عربي قادر على حمل رسالة العرب الخالدة هو هدف من اهداف الثورة . لتقوية قيمها الحضارية والانسانية في الحق والمحبة والعدالة والبطولة واحترام كرامة الانسان . ومهيأ لبناء حضارة عربية على اسس انسانية يتجلى فيها التعاون والتعلق بالحياة الجماعية وتفضيل المصلحة العامة والاستعداد للنضال ضد الباطل والتخلف والاستغلال والاستبداد . وعلى هذا تلتزم الثورة بكفالة حقوق المواطن في التربية والتعليم والتثقيف والاطلاع والمعرفة وتعتبر تهيئة هذه الفرص للجميع من واجباتها الاساسية .

٦ — تعتبر الثورة الجيش قطاعا من قطاعات الشعب المنظمة

يناضل في ميدان عمله الى جانب القطاعات الاخرى من اجل اهداف الثورة ، لذلك فهو بهذا المعنى يعتنق عقيدة الثورة ويدافع عنها في الداخل والخارج دون ان يتدخل في رسم السياسة او في امور الدولة اليومية الا بالقدر الذي يخصه ويخص ميدان وظيفته كل ذلك شكل برنامج عمل ثورة آذار ، ومن خلاله اهتدت ، وحددت قيادة الحزب للدولة والمجتمع .

★ نظـرة تقويميـة

لقد كانت ثورة آذار بحق الفعل الثوري الحقيقي الذي نقل سورية من موقع رد الفعل الى موقع الفعل ، ومن واقع التناقضات والصراعات الى واقع الاستقرار ، ومن واقع الانا والذات الى واقع الـ « نحن » والعمل الجمعي .

ان ماحدده المنهاج المرحلي للثورة يشكل اهدافها الاساسية فهل تحققت هذه الاهداف ؟ .

ان الثورة عملية مستمرة دينامية ولذلك فاهدافها مستمرة ودائمة ايضا وان نظرة سريعة الى المنجزات التي تحققت على كل مستوى من اهداف الثورة التي اشرنا اليها تبين مدى الانجاز الكبير والعمل الدؤوب الذي تقدمه الحزب وبشكل خاص بعد حركة التصحيح لجماهير الثورة واصحابها الحقيقيين ، ولانستطيع هنا ان نذكر جميع هذه الانجازات على مختلف الميادين ، فالواقع يتحدث عنها ودراسة تاريخية مقارنة لكل هدف من اهداف الثورة منذ قيامها وحتى الان هي الحكم الفيصل في ذلك .

وبعـد :

ان الثورة كما اشرنا فعل دينامي مستمر ، لذلك فهي بحاجة للعمل الدائم ، المتواصل الذي يتوافق مع الزمن والظروف الموضوعية والذاتية لهذا الزمن .

والثورة ايضا في فعلها المستمر تتنامى على جدرانها بعض الاستطالات المرضية هنا وهناك ، لسبب او لآخر ، وفي فترة زمنية او اخرى وهنا لابد من اليقظة الدائمة واستئصال هذه الاستطالات حيث وجدت او كلما تنامت ، كي لا تصبح عبئا على مسيرة الثورة وتقلل من فعلها الديناميكي المتجدد .

لقد اشار الرفيق الامين العام للحزب الرئيس المناضل حافظ الاسد في كلمته بمناسبة الذكرى الثانية عشرة لثورة آذار ، اشار الى ذلك قائلا :

« .. بالنسبة لنا ، الثورة في صميمها عمل دائب للانتقال الى الافضل ، وجهد مستمر من اجل التقدم والبناء وتحقيق المزيد من الانجازات للشعب ، وهذه كلها اعمال مهما كان المنجز منها يظل فيها مزيد لمستزيد ، ويبقى مجال العمل والنشاط فيها واسعا متعدد الجوانب فطريق الثورة طريق لانهاية له ، اذا قطعنا شوطا كانت امامنا دائما اشواط اخرى .

الاساس في مواصلة هذا الطريق هو التفاعل المستمر بين الثورة وجماهيرها ، بين القيادة والشعب ، وهذا لايكون الا بوضوح الرؤية والهدف ، والتمسك بالمبدأ ، والتخلق بأخلاق الثورة ، وبذلك تبقى الجماهير ذلك المعين الذي لاينضب من الطاقة المبدعة والقوة الخلاقة وتبقى هذه الجماهير السند المتين للثورة مما يضمن استمرار التقدم والنجاح .

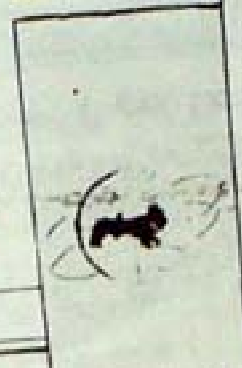
ان القوى المضادة بحكم تكوينها وطبيعتها وما ترمي اليه ، تبادر الى خلق الصعاب والعقبات وتسعى بكل ماتملك من امكانات لاقامة الحواجز وقطع الطريق . كذلك فان من طبيعة كل ثورة ان تعاني

خاصة خلال المراحل الاولى لمسيرتها من تناقض في الفكر وعجز عن العطاء والدفع بما يتلاءم مع حيوية الثورة من جهة ومع اهدافها من جهة اخرى .

والثورة الحقيقية تستطيع التغلب على القوى المضادة ، سواء اكانت هذه القوى من خارج الثورة ام من داخلها .. » (١) .

---

(١) مجموعة خطب الفريق القائد حافظ الاسد ، الكتاب الخامس ، ص .



جذور المأزق الفلسطيني

الرفيق : عزيز دراز

خلفية تاريخية :

تناول العديد من الرفاق في بحوثهم ازمة الثورة الفلسطينية ، وتصدوا بحماس شديد لتشخيص عللها ، مما حدا بي الى ان اشرع ربط حلقات هذه الازمة ، واحدة تلو الاخرى ، تسهيلا للراغبين (وما اكثرهم) في معرفة ما اصاب الجرح الكبير (فلسطين) . ودون الولوج في اعماق تاريخ هذه المسالة التي انعكست على مجمل الاوضاع العربية ، ساختصر الموضوع من بداية نشوء منظمة التحرير الفلسطينية وبروزها كحقيقة جديدة على الساحة العربية ، وكيفية التعامل معها عربيا ، واضعا في اعتباري التناقض الصارخ بين حكومات الدول العربية ازاء قضية بالغة التعقيد وبين خصم غير عادي شرس يستند في وجوده الى مصالح الامبريالية العالمية الضخمة.

جاءت منظمة التحرير الفلسطينية وليدة قرار رسمي عربي ، ذلك عبر مؤتمر قمة عربي ، مما جعلها مرتهنة بالقرار الرسمي العربي الى حد كبير ، ودفعها ذلك الى ان تبحث عن ولاءات متعددة ضمن المجموعة العربية ، التي هي في اكثرها لاتستطيع الخروج عما يرسمه البنتاغون الامريكي . وقد ترتب على ذلك تكليف اليمين الفلسطيني بالتصدي لتحمل مسؤولية منظمة التحرير منذ نشأتها ، لانه كان المؤهل الوحيد ضمن الظروف القائمة ، ولارتباطه الوثيق بالرجعية العربية ، ولطبيعة اليمين البرجوازية الطفيلية . ولانه لم يكن مسموحا لغيره ان يتصدر قيادة المنظمة .

وبتنامي المد الثوري العربي ، كرد فعل لعدوان حزيران سنة ١٩٦٧ والتي اراد منها العدو تعميم اليأس والاحباط لتمرير مخططاته وفرضها كواقع لا يمكن الخروج منه ، لكن العدو باء بالفشل لعدم قدرته على تحليل وتفهم النفسية العربية التي اعطت صورة مغايرة لما يرسم . فكانت هناك وثبات تمردت على تقرير وتمرير الحالة المرسوم لها ، ظهرت بشكل جلي في الزخم الجماهيري العالمي الذي قال لعبد الناصر لا تستسلم وقال لحزبنا نحن من ورائك ، هذا الزخم الذي فوجىء به العدو واراد اسقاطه ولكن على يد ابناء القضية هذه المرة . ومن هنا ، ومن وراء الكواليس كانت ازمة منظمة التحرير التي جرت فيها عملية مسرحية لازاحة الشقيري ، والعمل على ايجاد بديل مؤقت يزحف بخبث ، على طريق ما سمي بالعمل الفدائي الفلسطيني ليطغى على العمل الرسمي الفلسطيني بهدف الاستيلاء على منظمة التحرير، وان شئنا الدقة ان نقول انه تمت في هذه العملية التسليم والاستلام بين اليمين السابق واليمين اللاحق ، غيران اليمين الجديد كان يتستر ببرقع الثورة في هذه المرة حتى يستطيع ان يقوم بالدور المرسوم وينفذ المهمة التي انيطت به ، ولكي يصل اليمين الى اهدافه عمد الى وضع غمامة سوداء على اعين قوى الثورة الحقيقية بالتنسيق والترتيب مع عصابة الاخوان المسلمين ، تلك الجماعة التي

لم يعد هناك من شك في ولائها وارتباطها بالمخابرات الامبريالية وعلى رأسها المخابرات الانجليزية والاميركية والصهيونية . والآن لنجب عن سؤال : هل يمكن لنا القول ان قيادة اليمين تعمل بمهمة رسم هدفها اركاع المنظمة ؟ ومن هم رموزها ؟.

وحتى نستوفي خيوط المهمة فلا بـد ان نأتي على مسيرة بعض النماذج اليمينية التي وهبت كل ما تملك لتنفيذ وترتيب الهيمنة على منظمة التحرير . وعليه فلا بد من الاعتماد على وجود من الدرجة التابعة في الحركة (حركة الاخوان المسلمين) تتمتع بحضور وقدرة على امتلاك ناصية الكلمة . **من هذه الرموز كان خالد الحسن الذي انتمى مبكرا الى حركة الاخوان المسلمين ، وعاش فترة من حياته في ليبيا ، وهناك تم ارتباطه بالمخابرات الانجليزية ، التي نقلته بدورها الى الكويت وفرضت على السلطة الكويتية ان تمنحه الجنسية الكويتية ، كما انه كان قريب الصلة بدوائر الماسونية** ، وتدرج الى ان اصبح في الكويت سكرتيرا لبلدية الكويت مما اعطاه وجودا مهما على الساحة الكويتية ، فصفات هذا النمط في صفوف الاخوان المسلمين كانت كافية ان تجعل منه شخصية متقدمة على عرفات نفسه . لكن كيف استطاع عرفات ان يتقدم على خالد الحسن ؟ ان المتتبع لسيرة الرجل (عرفات) ، والذي طرده والده من بيته في وقت مبكر من حياته يعرف عنه اشتهاره بالكذب ، ولبوسه كل يوم ثوبا جديدا ، ويعرف كيف فهمته حركة الاخوان المسلمين وزجت به لتصدر على طريقه منظمة التحرير ، ومن هنا جاءت الممارسات المريبة التي ظهر من خلالها ان عرفات هو الاقدر على تنفيذ الرغبات والمخططات . فكانت الحركة وراء وجوده على رئاسة اتحاد الطلاب مدة لا يستهان بها في القاهرة ، لم انتدابه للمهمة التي طالما اعد الاخوان المسلمون العدة لها . وهكذا رجحت كفة عرفات ، ذلك الرجل الذي يمتلك مواهب التلون واللعب على اكثر من حبل وفي وقت واحد ، خصوصا اذا عرفنا ان العرب عربان ، او قل اكثر ، مما يجعل رجلا مثل عرفات قادرا على ارضاء الجميع .

وهكذا اصدر (**المجلس الحسيني**) للاخوان المسلمين الذي يتخذ من عاصمة عربية مقرا له قرارا بتكليف عرفات لهذه المهمة شريطة ان يكن خالد الحسن معه كظله لانه هو الاقرب الى فكر قيادة الاخوان المسلمين والذي يحمل توجيهاتها الى عرفات .

اننا لا نشك ولو للحظة واحدة في ان ياسر عرفات والمجموعة التي جاءت معه الى قيادة حركة فتح ، وبالتالي الى واجهة منظمة التحرير ، قد جاءت وهي تحمل توجيهات لضرب حركة الجماهير الفلسطينية . والذي يدرس بتأن تطور وتدرج اعمال هـذه القيادة وطموحاتها منذ ان كانت تطرح التحرير من النهر حتى البحر والعزوف عن العمل الرسمي **(الابتعاد عن منظمة التحرير)** الى الارتماء الآن **في احضان كامب ديفيد في مصر ، وما بين هذا وذاك من مسيرة نعرفها جميعا** ، وسنستعرضها فيما بعد ، **يؤكد أن قيادة عرفات قد نفذت** وبأمانة المخطط التخريبي الذي رسم لها من قبل **حركة الردة المسماة بالاخوان المسلمين** .

طرحت قيادة حركة فتح في بداية عملها افكارا تعد في حينها افضل الطروح لتحرير الارض وملكت في وقت مبكر آلة دعائية كبيرة وقامت بالاتصال اولا بالقوى الوطنية في المنطقة العربية (حكم الحزب في سوريا ـ الذي لم يغب عنه منذ البدء الخلفية الفكرية المشبوهة لبعض قياديي الحركة ـ) بالاضافة الى عبد الناصر مما أوحى أن هذه الحركة وطنية التوجه . فالبسها ذلك الاتصال ثوبا بعيدا كل البعد عن اية شبهة . خصوصا اذا ما علمنا ان واجهة هذه الحركة قد ضمت في وقت مبكر عددا من البعثيين السابقين والشيوعيين . وهكذا ومن خلال وقوف الانظمة الوطنية الى جانبها وسكوت الرجعية العربية كسبت عطف الجماهير والتفافها حولها . فاصبحت المنظمة الام على رغم انه سبقها عدد من المنظمات التي تعمل من اجل التحرير .. (وهذا ما يكون الخوض في الحديث عنه كثيرا وكثيرا) .

أموال النفط في خدمة اليمين المرتد :

لم يكن بامكان هذه المجموعة من (اليمين الفلسطيني) ان تتصدى للعمل من دون ان يكون بحوزتها ما يكفي لطموحاتها التي هي الاستيلاء على ضمائر الشعب الفلسطيني ومؤسساته ، وكانت اموال النفط جاهزة لتلبية هذا المطلب . فضخت اموالا اشكل يفوق الخيال بل يفوق ما يتطلبه العمل بمئات المرات . اذن ضخ هذه الاموال لم يكن مجانيا ، بل كان له ثمن آخر مغاير تماما منه :

١ ـ ربط الحياة المعيشية للغالبية الساحقة من الشعب الفلسطيني بهذه القيادة ، لما تقدمه لها من رواتب واعانات ثابتة ، حتى يصبح من المستحيل الانفكاك عنها .

٢ ـ اغراق العمل الرسمي الفلسطيني بحجة التطوير والانتشار ، وخلق كادر كبير كان يمكن ان يكون كادر الثورة الحقيقية لكنه آثر على ذلك ، الجلوس وراء المكاتب ، واتكفأ على نفسه يدبر اكبر قدر من مصالحه الذاتية .

٣ ـ الهاء المقاتلين بالمطالب المادية التي اصبحت تطل برأسها من حين لآخر ، فعمدت الى تقديم الاغراءات الكافية حتى غدت هدفا يسعى المقاتل الى تحقيقه ، بدلا من ان يسعى لتحقيق مزيد من قدراته القتالية ، وتطوير اساليب العمل الفدائي ، وتعزيز كفاءاته بالممارسة الجادة سعيا لخلق حقائق تسند الثورة وتدعمها .

٤ ـ المحاولات المستمرة لشراء الذمم لكل من تظهر لديه رغبة في ان يكون متميزا في موقعه من قضية التحرير ، واكبر مثال على ذلك تلك المحاولات المستمرة **لشراء كوادر جيش التحرير الفلسطيني التي تملك الخلق الكافي للوقاية من السقوط** ، وحينما لم تنجح هذه المحاولات عمدت القيادة المنحرفة لتدمير هذا الجيش والغائه .

٥ ـ العمل على ان تكون هذه الاموال موظفة لتخريب المجتمع

العربي عموما والفلسطيني خصوصا ، وخلق حالة اللا امل في الدول التي توجد فيها كوادر الثورة وأدواتها ، وذلك كما حدث في الاردن وسورية ولبنان بمعنى (ان دور القيادة المنحرفة بما تملكه من اموال نفطية هو دور تخريبي وتدميري واحباطي للشعب العربي والفلسطيني على حد سواء) .

٦ ـ توظيف هذه الاموال في خلق اداة اعلامية معادية لقوى الثورة العربية الحقيقية ، ومهادنة للقوى الرجعية العربية .

٧ ـ خلق طبقة متميزة داخل الثورة الفلسطينية تحرص كل الحرص على بقاء الحال ، لان ذلك يؤمن لها احلامها في الثراء وحياة الامراء ، حيث يصبح اي خلل لها يستنفر القوى الكامنة للدفاع عن النفس لهذه الطبقة المتسلطة الطفيلية .

٨ ـ بنظرة متأنية هادئة يتبين ان المطلوب من وراء هذه الاموال وظيفة وحيدة ، الا وهي القضاء على الثورة بيد الثورة وذلك تنفيذا لرغبة امريكا ومن ورائها الكيان الصهيوني الغريب . **(واي خديعة** كان فريستها شعبنا المخدوع) .

الزحف على العمل الرسمي الفلسطيني تلبية لرغبة اعداء القضية :

وحينما برز العمل الثوري الفلسطيني ، كان اليمين المنحرف الذي نعرفه قد قدم طروحا مفادها المعروف عن العمل الرسمي الفلسطيني ، وتحرير الارض من النهر حتى البحر ، واعتبار البندقية الاداة الوحيدة للتحرير ، واي عمل آخر انما مضيعة للوقت ، وان الرصاصة التي تخرج من فوهة البندقية خير من الف كلمة على حد تعبير احدهم تخرج من فم رجل يتعاطى الكلام ، واي سحر لهذا الطرح !! .

وهكذا التفت الجماهير الفلسطينية والعربية حول هذا الوقد الذي رات فيه ترجمة حقيقية لمشاعرها .. وهكذا فجاة ومن دون مقدمات رأينا القيادة التي تدمت ذلك الطرح تنقلب على ذاتها وترى ضرورة قيادة العمل الرسمي الفلسطيني وما يستتبع ذلك من نسف لكل المقولات السابقة ، وهكذا وبقدرة قادر تمت مسرحية نقل السلطة من رجل الكلمة الى رجل البندقية واصبحت هذه القيادة والتي كانت ترى في عدد لا يتجاوز أصابع اليد من سيارات العمل الرسمي الفلسطيني جريمة يجب أن تقطع الايدي عليها ، نرى هذه القيادة المتسلطة تقدم اسطولا من السيارات ذات الطول والعرض والالوان النادرة التي تخلب الالباب ... لهذا العمل المظلوم الذي يسمى بالعمل الرسمي الفلسطيني . كما اصبح هذا العدد الذي لا يتجاوز اصابع اليد من مكاتب منظمة التحرير يتضاعف عشرات المرات ويكوادر اضعاف اضعاف ما يجب أن يكون فيها ، ولها من الصفات والاوصاف والاطلالات ما يجعلها تفوق سفارات الدول المتقدمة .

وبتصدر قيادة عرفات لقيادة منظمة التحرير الفلسطينية اصبحت جاهزة لتنفيذ المخطط الذي طال انتظاره .

مسرحية ايلول والدم الفلسطيني :

حينما انتقل العمل الفدائي الفلسطيني الى ضفة النهر الشرقية كان عملا له صفات مميزة اقلها الروح النضالية العالية لدى العناصر لسائر المنظمات الفدائية ، وكانت كلمة الفداء تسمية دقيقة للحاصل، والصورة المثلى هي تسابق العناصر على من يكسب قصب السبق لتنفيذ احدى العمليات ، معتبرا ذلك اقل مايجب أن يكون .. التضحية والعنفوان ونكران الذات صفات ملازمة لعناصر الافواج الاولى التي نزلت ضفة النهر .

وهكذا هال القيادة هذا النمط من المقاتلين ، وكان لابد من

اغراق هؤلاء بعناصر لاتمت للعمل الفدائي بصلة تكون وظيفتها واعمالها تعطي صورة اخرى لاعلاقة لها بالفداء بتاتا .

وفي مدة قصيرة لاحظنا هذا التضخم الهائل في جسم الثورة وفي عدد عناصرها ، وامسى هؤلاء الذين يملكون الطهر الثوري قلة. حيث لم يعد من الممكن رؤية تضحياتهم حيث طمست ، واصبحت صورة العمل الفدائي تتمثل في التدخل اليومي في حياة المواطنين ، سواء اكانوا من ابناء الضفة الشرقية ام الغربية على السواء ، واصبحت سجون المنظمة تعج بمئات المواطنين الذين لاذنب لهم سوى انهم اختلفوا مع نسائهم مثلا ، واصبح الشغل الشاغل للعمل الفدائي الفلسطيني هو ضبط المرور وفتح واغلاق الحوانيت ، ومنح رخص البناء ، وفتح الشوارع واغلاقها . ناهيك عن الاستعراض اليومي في الشوارع والطرقات بعدما يزينون صدورهم وجوانبهم بالات الحرب الخارقة .

هذا من جهة ومن جهة اخرى اخذت آلة الاعلام الفلسطينية وآلة الاشاعات تبث برامجها على موجة **التفريق بين ماهو شرقي وماهو غربي وبتعبير ادق بين اردني وفلسطيني** واي جريمة كانت تلك ، حيث غدا التحفز وسوء الظن من الجانبين، بل وسوء التصرف في احيان اخرى هو البديل للحياة السابقة ... ولم تقف الامور عند هذا الحد بل رهنت القيادة نفسها لاستفزاز كبار ضباط الجيش الاردني واهانتهم حتى يدفعوهم ليكونوا قوى معادية — وبشراسة — للثورة ، ليضعوا المجوزات في يد صاحب الجلالة لتتم تصفية العمل الفلسطيني من ضفة النهر الشرقية .

فهل يحق لنا ان نتساءل ، هل كانت ايلول ٧٠ مسرحية تم الاتفاق عليها بين الضدين ؟!؟

نحن نؤكد وبملاحقتنا لواقع حال القيادة وتصرفاتها واتصالاتها المختلفة ان هذه هي الحقيقة ... اي حقيقة مرة كان ثمنها ٢٥ الف قتيل وجريح فلسطيني ، ونهر من الدماء !!

وكان لابد حتى تكتمل فصول المسرحية ان تجري تغطيتها بكثير مما تملكه الحناجر ومزيد من ترتيب البيت الفلسطيني حتى بوابة المرحلة اللاحقة ، وهكذا ابتدعت التصريحات النارية والخطب المنسالة التي تغلف بكثير من الدموع . اما من جهة اخرى فتم اخراج البقية الباقية من الاردن على ايدي القيادة المبجلة . وجرت تصفية اهم شخصيتين كانتا من الممكن ان تطرحا ضرورة المحاسبة وهما على وجه التحديد (ابو علي اياد ، وصبري صيدم) كما تجدر الاشارة الى ان كليهما كانا ينتميان في يوم من الايام الى حزب البعث العربي الاشتراكي

وعلى الفور جرى نقل القوات الى سورية ومن ثم الى لبنان حيث بدات المؤامرة الكبرى ..

متابعة تنفيذ المخطط في لبنان ؟

منذ ان توضعت قوات المقاومة في ارض القطر اللبناني اخذت مواقع يفهم منها انها ذوات اهداف بعيدة عن التحرير ، فالتمركز الكثيف في العاصمة اللبنانية وفي الشمال وفي البقاع لايمكن ان يكون الا لاهداف غير هدف التحرير . وانتقلت قيادة العمل الفلسطيني بقضها وقضيضها ورياستها الى العاصمة اللبنانية ، وكانت تملك في ذلك الوقت كل اسباب القدرة على خنق القوى الوطنية ، والحلول محلها استعدادا لتنفيذ مخططها الذي يمكن فهمه في ضوء تصرفاتها اللاحقة بانه مخطط تخريبي تآمري على كل من الحركة الوطنية والثورة الفلسطينية ، وسرعان ما اخذت تتلاحق الخطوات التنفيذية لهذا المخطط الذي كان ضمن سيناريو يمكن حصره فيمايلي :

١ ــ الغاء دور القوى الوطنية في القطر اللبناني .

٢ ــ الدخول في لعبة الطائفية اللبنانية ، واعتبار حركة المقاومة الممثل الوحيد للطوائف الاسلامية . بل وحامية للطوائف الاسلامية .

٣ ــ الدخول في لعبة الانتخابات حيث يصبح للمقاومة الدور الفاصل في هذه العملية .

٤ ــ جر سورية الى صدام مع حركة المقاومة الفلسطينية ، واستعمال كل الوسائل والاساليب لتحقيق ذلك .

٥ ــ السيطرة على وسائل الاعلام اللبنانية من خلال اموال النفط والضغط الرجعي ، بحيث اصبحت صحف بيروت بوقا لهذه القيادة ، بالاضافة الى آلات التصوير وتركيزها على شخوص هذه القيادة .

٦ ــ استبدال العمل الفدائي الفلسطيني بعملياته المميزة كما كان سابقا في الاردن بشكل جديد لايمكن فهمه الا انه استفزاز للعدو دون التاثير فيه وبالتالي دفع العدو الى مغامرات لسحق الثورة من دون الاستعداد الكافي لمواجهة على ارض المعركة .

٧ ــ اتخاذ مدينة بيروت مقرا للقيادة ورجالاتها وما يتعاطون من اعمال التهريب والسمسرة الدولية .

٨ ــ فرض الهيمنة على الشعب العربي في لبنان والتدخل في حياته اليومية بوسائل مختلفة ، مما خلق جوا انقساميا داخل المجتمع اللبناني بين مؤيد لارتباطه حياتيا بقيادة المنظمة وبين رافض للوجود الفلسطيني بشكل قاطع ، مما ولد صداما بين اللبنانيين انفسهم .

٩ ــ اما قصة الحواجز وانتشارها في كل المدن اللبنانية وخاصة العاصمة فكان شكلا يثير الاشمئزاز والرعب معا .

وليس غريبا ازاء ما تقدم ان تقع الكارثة .. اي الصدام بين القوى الوطنية اللبنانية من جهة وبين القوى اليمينية المتمثلة بشكل رئيس في حزب الكتائب من جهة اخرى . والحقيقة ان الصدام عمليا كان بين القوات الفلسطينية وبين حزب الكتائب .. ترى هل كان ذلك حلقة من حلقات مخطط مدروس اقتسمت مسؤولية تنفيذه منظمة التحرير واليمين المرتبط . المتمثل بكل من حزبي الكتائب والاحرار ؟!! ويزيدنا يقينا بذلك تلك المقدمات التي تقودنا الى هذه النتيجة .

ونحن ندرك ان القطر العربي السوري قد بذل كل الجهد لتصحيح الامور ووضعها في جادة الصواب ؛ لكن القطر العربي السوري وجد نفسه مضطرا للتدخل لوقف سفك الدماء والتدمير الذي سيأتي على مجمل الانجازات فلسطينية كانت ام عربية ، وحينما عزمت القيادة السورية على درء اكبر قدر من الخسائر تصدى لها من ادعوا انهم واياها في خندق واحد وبطريقة استفزازية ورخيصة ، وحينها قامت قيامة آلة الاعلام والاشاعة وبتوجيهات مباشرة من عرفات ببث الاكاذيب والافتراءات التي لايمكن ان يصدقها عاقل .. ولم يكتف عرفات بهذا القدر من التضليل بل عمد الى النيل من سمعة القطر العربي السوري الوطنية ، وتشويهها ، وسعى بكل مايملك من ابواق منافقة رخيصة مأجورة لايهام الجماهير واغراقها في بحر من الاشاعات والايحاءات التي لايمكن السكوت عنها ، رغم المحاولات الدائبة والمستمرة من قبل حزبنا وقيادته لاعادة عرفات الى الطريق الصحيح والصواب لكنها كانت باستمرار تذهب سدى ... وعلى قاعدة الصبر والتأني والتريث التي تحلى بها حزبنا ، كانت قيادة الحزب كلما تم شكل من اشكال الاتفاق بينه وبين القيادة الفلسطينية تلاحظ ان عرفات كان يخرق هذا الاتفاق قبل ان يجف حبره ..

اعلان الوثيقة الدستورية اللبنانية :

حرصا من قيادة الحزب وعلى راسها الرفيق الامين العام سعت هذه القيادة باذلة كل الجهد لاستصدار الوثيقة الدستورية اللبنانية والتي تعطي المقاومة الفلسطينية اضعاف ما اعطته اتفاقية القاهرة ، وكان اعلان هذه الوثيقة الدستورية على لسان رئيس الجمهورية اللبنانية انذاك . ونؤكد ولامجال للشك في ذلك ان هذه الوثيقة كانت بخط وبصمات الوفد الفلسطيني ، تلك التي اعلنها رئيس الجمهورية اللبنانية ، وماكاد الوفد الفلسطيني الذي كتب تلك الوثيقة يعود حتى نقض عرفات ماجاء فيها ، وذلك باشعال نار الفتنة والحرب .

استمرت الحالة في لبنان على ماهي عليه، وتدخل العدو الصهيوني مرة اولى، ومرة اخرى فيما سمي بحصار السمين يوما، والذي جرى من خلاله تمثيلية الخروج وتوزيع المقاتلين في مغارب الارض ومشارقها . وفي ظل هذه الظروف تلاحقت تصريحات عرفات الرخيصة توطئة لمواقف استسلامية لاحقة ... فافتتح الخروج بزيارة نظام كامب ديفيد وانتهى الان بالارتماء نهائيا في احضان كامب ديفيد ... كان ذلك كله للوصول الى نتيجة عبرت عنها مخططاته المتمثلة في تمزيق العمل الفدائي الفلسطيني .

ولايفوتنا التذكير والتنويه بأن قيادة عرفات منذ وقت مبكر كانت قد رسمت خطوات طريق الاستسلام ، فبادرت بالاتصال بجماعات صهيونية تحت تسميات مختلفة مع الغاء بعض الشعارات الفلسطينية السابقة مثل استبدال شعار اقامة دولة على بقعة من الارض يمكن ان تعطى ، كما قامت هذه القيادة بتقديم مشروع استسلامي كاد ينهي منظمة التحرير الفلسطينية ويمزق المجلس الوطني الفلسطيني في احدى دوراته . هذا المشروع المسمى بمشروع النقاط العشر والذي استطاع عرفات ان يمرره باغلبية ضئيلة مما حدا بالمعترضين وهم كثر ان يدونوا اعتراضاتهم على هذا المشروع ويسجلوها كوثائق رسمية

اذن فعرفات وجماعته كانوا ضمن لعبة ماكرة تم ترتيبها وبدقة وحسب ازمنة تأخذ بعين الاعتبار مراحل التنفيذ والتهيئة اللازمة لها كان ذلك يتم خطوة خطوة بعد ان تهيء القيادة المنحرفة المناخ المناسب لطرح حلقات التآمر وسط جو ملائم لذلك الطرح .

كانت قيادة حزبنا منذ البداية واعية لما يجري ولقد حاولت التصدي وباشكال مختلفة لايقاف تنفيذ هذا المخطط ، آخذة بعين الاعتبار الظروف الموضوعية القائمة والمزاج الجماهيري العربي والامكانات الحقيقية المتاحة على الساحة . ولم يفت ولو للحظة واحدة قيادة الحزب وكوادره مصير ما يدفع اليه عرفات .

لقد كشف حزبنا ذلك كله وفي حينه امام شعبنا ، ولم يقل اللهم اني قد بلغت، وترك الحبل على غاربه .. بل انه ، وهو الذي ينطلق من مركزية القضية الفلسطينية للنضال العربي التحرري ، واصل ويواصل نضاله من اجل ان تمسك الجماهير الفلسطينية وقواها التقدمية قضيتها بنفسها . وعندما تمسك الجماهير قضيتها بنفسها يقول حزبنا : فانها ستواصل النضال محطمة كل العقبات والعراقيل في طريق التحرير والنصر .

دراسات فكرية

ندوة الوحدة العربية

حلقة ـ ١ ـ

الرفيق ياسين سلمان

ندوة الوحدة العربية ، التي دعا اليها ونظمها مكتب الاعداد القطري، في القطر العربي السوري، والتي انعقدت بين ٢٤ ـ ١٩٨٦/٢/٢٧ ، كانت ، بحق ، ندوة متميزة ، من حيث الاهتمام الجدي من قبل القائمين عليها ، والبحوث التي قدمت بها ، والجرأة في طرح الافكار الناقدة للواقع ، التي وصلت ببعض البحوث الى حد التجريح او النقد غير المتكامل الابعاد ، او غير الموضوعي ،اذا صح التعبير . ومع ذلك فقد كان الرفيق د. احمد درغام يحرص على ان يؤكد ، بين الحين والاخر، انه لايوجد لدينا «فيتو»على اي كلام يقال، لان المهم في نظرنا اننا جميعا، في تقويمنا ونقدنا، ننطلق من النية الصادقة في البناء ، في تقديم شيء مفيد لبلدنا وامتنا .

والحق ان البحوث التي قدمت ،عرضت معلومات كثيرة قيمة ، وكشفت جوانب مهمة جدا من مسالة الوحدة ،

وطرحت تساؤلات ، وقدمت ارضية لاجابات منطقية على درجة كبيرة من الاهمية . . ولكن الاهم هو كيفية الاستفادة من كيفية صياغة هذه الافكار وتكثيفها واخضاعها الى مزيد من النقاش ،كيما يصار الى تعميمها ،والعمل بهدي الاجدر على البقاء منها .

من جهتنا نحن ، في مجلة المناضل ، سنقوم بعرض الندوة ، على حلقات ثلاث ، سنعرض ماامكن الافكار المطروحة في البحوث ، ورأينا بها ، او في بعضها وبشكل يسمح بايصال اجابات بعض البحوث على تساؤلات بعضها الاخر ، مؤكدين حق اي رفيق في الرد على ما نقول او ما قاله الباحثون .

البحوث هي :

١ ـ حول نظرة حزب البعث العربي الاشتراكي الى قضية الوحدة العربية .
٢ ـ قصور العامل الذاتي .
٣ ـ ملاحظات حول الامة والتاريخ والثقافة .
٤ ـ النزعات الاقليمية في الوطن العربي .
٥ ـ بعض انعكاسات البعد الاقتصادي للوحدة العربية في الفكر الاقتصادي العربي المعاصر .
٦ ـ الوحدة العربية ودورها في التنمية وتجاوز التخلف .
٧ ـ التطور التاريخي للامة العربية .
٨ ـ الوحدة العربية والعقلية البورجوازية الصغيرة .
٩ ـ التبعية عقبة اساسية في طريق تحقيق الوحدة العربية .
١٠ ـ مداخلة في منهج البحث في قضية الوحدة العربية .
١١ ـ الوحدة العربية عبر التاريخ .
١٢ ـ التيار الناصري والوحدة العربية .
١٣ ـ التجارب الوحدوية المعاصرة .
١٤ ـ الوحدة العربية طريق الجماهير واداتها الديمقراطية .
١٥ ـ القوى الاجتماعية ذوات المصلحة العميقة في تحقيق الوحدة العربية .

بالاضافة الى كلمة الافتتاح للرفيق د. سليمان قداح الامين القطري المساعد ، كلمة الرفيق د. احمد برقاوي رئيس المكتب المختص .

● فقد قال الرفيق د. سليمان قداح في كلمته :

لقد شكل تحقيق هدف الوحدة العربية املا عظيما راود ، وما يزال يراود الاجيال على مر العصور . وظل املا منشودا لامتنا العربية بشكل طريق الخلاص من موروثات التخلف والتجزئة والاستلاب في الواقع العربي ، هذا الهدف العظيم الذي سقط على طريق تحقيقه الاف الشهداء العرب على امتداد الساحة العربية .

وقد اشار الرفيق قداح الى بعض المسائل الاساسية ، التي جانب الصواب بعض المفكرين العرب حين تناولوها ، اولاها : اعتبار الوحدة العربية ردا على واقع التجزئة والتخلف وعلى التحديات الراهنة ، التي تواجه الامة العربية فقط ، متجاوزين من خلال هذا الطرح ، الجذور التاريخية التي تضرب في اعماق التاريخ .

وثانيها : الاكتفاء باعتبار قضية الوحدة جزءا من التاريخ العربي وجزءا من تراث العرب والركون الى هذا التجريد النظري ، دون الاخذ بعين الاعتبار التجدد اليومي والحياتي المتصاعد ، ولا سيما في حياتنا المعاصرة ، الامر الذي ترك مفارقة كبيرة بين المسوغات الفكرية والايديولوجية للمسالة وبين صورة الواقع الراهن .

واوضح ان قضية الوحدة العربية لم تنشا من الفراغ ومن دون مقدمات ، وانما هي نتاج لعملية تطور داخلي طويل للواقع المادي والروحي عند العرب ، خضعت وما تزال تخضع ، للقوانين التاريخية المتعلقة بالتطور والانتقال من شكل ومضمون قديمين الى شكل ومضمون جديدين .

وثالثها : الاكتفاء باستخلاص النتائج التي اسفرت عنها الثورة القومية البورجوازية الاوربية في العصور الحديثة ، ومحاولة تقليدها ، دون الاخذ بمعطيات الواقع المتجدد .

ورابع هذه المسائل : عدم التكامل في اخراج المشروع الوحدوي ، والاكتفاء بنظرات جزئية لبعض النواحي واهمال في نواحي اخرى ، نتيجة تعدد المدارس الايديولوجية التي سادت الساحة العربية خلال النصف الاول من القرن العشرين .

... وبعد استعراضه لمعوقات الوحدة قال « لذلك كان لا بد من مشروع وحدوي يستطيع ان يتجاوز ، باهدافه ومضامينه ، كل الهفوات والاخطاء التي طرحتها المشروعات الوحدوية .. ومن هنا كان اول مشروع وحدوي عربي جماهيري علمي طرح على الساحة العربية من قبل حزبنا العظيم حزب البعث العربي الاشتراكي .

ثم استعرض التاريخ النضالي للبعث الذي تطور عبره فكر الحزب الذي توصل في المنطلقات النظرية الى تاكيد الطابع الاشتراكي والشعبي والثوري لقضية

الوحدة ، والى ان قضية الوحدة هي قضية جماهير العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة والمثقفين الثوريين .

وقال : ان حزبنا اسقط الاتجاهات اليمينية فيه .. ولذلك كان من الطبيعي ان تزداد القوى المعادية للوحدة العربية ، فاذا كانت الامبريالية والصهيونية عدوتين بحكم كون الوحدة تهدد مشروعاتهما ومصالحهما ، انطلاقا من المحتوى التقدمي التحرري للوحدة ، فمن الطبيعي ان يضاف الى تلك القوى الانظمة الرجعية العربية ، التي تسيطر على الكثير من الاقطار العربية ، التي ينحدر حكامها من قوى الطاغية والبوقراطية وراسمالية كومبرادورية .. هذه القوى التي تحاول من جانبها الابقاء على وضع التجزئة وتعميق العزلة بين الاقطار العربية لتحافظ بذلك على مكتسباتها ومصالحها الطبقية .

وقال : قلنا ان قضية الوحدة متجددة شكلا ومضمونا بتجدد الواقع ، وهذا يتطلب ضرورة البحث عن اشكال وحدوية جديدة لمجابهة التحديات .. وفي ظل عدم نضوج الظروف الموضوعية لقيام الوحدة انبر البحث عن طرح شعار التضامن العربي وتطوير صيغ العمل العربي المشترك .. كنقطة ارتكاز ثابتة في سياسة قطرنا بعد الحركة التصحيحية المجيدة . واشار في هذا الصدد الى حقيقتين :

اولاهما : ان هذا النمط من التضامن مشروط باسبابه الموجبة وهي حشد الطاقات والامكانات العربية لمواجهة المخططات الامبريالية والصهيونية ومشروعاتهما في المنطقة العربية .. بموجب قول الرفيق الامين العام حافظ الاسد : ان التضامن ليس بديلا للوحدة .. اننا نريد ونعمل من اجل تضامن عربي حقيقي مضمونه نضال جاد ضد العدوان الاسرائيلي وكل القوى التي تساند هذا العدوان ، وخاصة الولايات المتحدة الامركية .

وثانيهما : ان هذا الشكل من التضامن ليس بديلا من الهدف الاساسي الذي هو الوحدة . يقول الرفيق الامين العام : الوحدة في حياتنا حقيقة كبرى لاتعلوها ولا تساويها حقيقة اخرى .

واضاف : لقد تم طرح الصيغة الجديدة ردا على تصاعد حمى الهجمة الامبريالية والصهيونية والرجعية على المنطقة العربية .. كما واصل قطرنا الادانة الحازمة لكل اشكال الصراعات الهامشية والثانوية ، التي حاول الامبرياليون والصهاينة اشعالها في المنطقة العربية ، والتي تعتبر الحرب العراقية ـ الايرانية احد مظاهرها البشعة . كما وقف بحزم ضد انحراف اليمين الفلسطيني .. وسوف يستمر في نضاله هذا معتمدا على تطوير امكاناته الذاتية وحشد ما امكن من الطاقات العربية

وتعزيز صيغ العمل العربي المشترك ، وتطوير اواصر الصداقة والتعاون مع حركات التحرر والتقدم في العالم ودول المنظومة الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفييتي الصديق .

وقال الرفيق قداح : لقد اطلعت على الابحاث والمداخلات المقدمة للندوة ووجدت فيها الكثير من الغنى . ولا بد ان اشير في هذا المجال الى ان اخفاق التجارب الوحدوية حتى الان بسبب كثرة اعداء الوحدة من جهة ، وضخامة الامكانات المادية ، التي يملكونها من جهة اخرى ، يجب الا تنسينا اهمية هذا الهدف ، باعتباره البديل الوحيد الذي يحقق من خلاله العرب ذاتهم . واضاف : اتوجه خاصة الى اولئك المفكرين الذين يغرقون في التعامل النظري المجرد مع القضية ، ففي حماة نقد الواقع يتم ذلك احيانا بشكل ميكانيكي مجرد مما يؤدي الى احلال روح التشاؤم لدى جماهيرنا العربية ..

وانهى كلمته قائلا : ان النوايا الحسنة لا تقود الى الوحدة . ان النوايا الحسنة والرؤية الموضوعية البعيدة عن روح الانحراف النظري والنظر للمستقبل بكل التفاؤل هي التي تخدم هذا الهدف الكبير .

● الدكتور احمد درغام : •

في افتتاح الندوة قال : هل يمكن ان نسترجع في ذاكرتنا مرحلة من عمر قضيتناه ، عندما كان وهج الوحدة العربية يغمر نفوسنا وقلوبنا ؟ . كان هذا الوهج ذا محتوى جماهيري ، ولم يقتصر على تلك الشريحة المثقفة من مجتمعنا ، التي تحسست الام الامة العربية ، منذ مطلع القرن العشرين ، بحكم وعيها وادراكها لواقع التجزئة والقهر القومي والنهب الاستعماري والتخلف الحضاري الشامل .. وتساءل الرفيق درغام قائلا : فماذا استجد ؟! ولماذا خبا وهج الوحدة العربية ؟!. ما هي الاسباب التي تركت هذا المفهوم يتاخر في الاهتمام وفي الوعي الحاضر ؟!. هل كانت افكار رواد الوحدة والداعين لها احلاما غير قابلة للتحقيق ؟! هل وصلت جماهير الوحدة الى قناعة بان الوحدة لا تجسد امالها ومصالحها وطموحها ؟! هل تبدلت ظروف الاستبداد ؟. ام ان المحاولات او التجارب الوحدوية التي كانت شكلت عائقا يدعو الى اليأس والانطواء ؟! . ام ان اسلافنا الوحدويين طرحوا مسالة الوحدة على نحو غير صحيح ، فيه الكثير من الطموح والمشروعية التاريخية وفيه اكثر من الابتعاد عن الواقع الحسي المعاش .

وقال الدكتور درغام : ان الاوضاع التاريخية لظروف قطرنا جعلته منطلقا لمفاهيم العروبة والقومية والوحدة ، مضيفا : ان الشعور بالانتماء الى امة

عربية واحدة نما وتطور مع القمع التركي الطوراني للعرب . ومؤكدا : ان حزب هو نتاج تلك الحركة القومية التحررية في هذه الارض ، الذي طرح منذ اربعي هذا القرن قضية الامة العربية على ارضية فكرية متقدمة ازدادت عمقا ووضوحا حين توصل حزبنا الى اعتبار ان النضال من اجل الوحدة لا يكون مجديا الا بالتلا بين الوحدة والحرية والاشتراكية التي هي اهداف الثورة العربية المعاصرة .

ولقد بين الرفيق درغام ان حزبنا اعطى الوحدة العربية القيمة الاولى رد على النزعات الاقليمية والوحدات الجغرافية ودعوات اخرى تتنكر للامة العرب ولعتبرها نتاج الحركة الصهيونية لتفريق المسلمين بعضهم عن بعض مثل دعو الاخوان المسلمين بالامة الاسلامية .. واكد الرفيق درغام : ان اولوية الوحدة ا كانت مشروعة تاريخيا فانها ليست مشروعة علميا وعمليا وانها لا تتحقق الا بفع جماهيري خلاق سيس ، وعمل ديمقراطي شعبي .. واعلن : اننا نحن البعثي نتبنى مقولة ترتقي الى مستوى الحقيقة وهي انه لا يجوز لقوة سياسية ان تدع وحدها انجاز هذه المهمة التاريخية ، بل انها تتطلب وحدة القوى السيا الوحدوية الاشتراكية الديمقراطية العربية كلها . كما نرى : أن الوحدة بدو اشتراكية لا معنى لها ولن تكون . وانه من المنطقي القول ان الوحدة العربية عمل للتاريخية طويلة المدى .

وخاطب الدكتور درغام ضيوف الندوة مؤكدا وجوب سيطرة جو من الحر واسع النطاق على الندوة ، لان الهدف هو البناء وتصليب الجهاز الحزبي بفكر وحدوي من الصعب اقتلاعه ، مشيرا الى اننا سنبقى نعمل من اجل الوحدة مه كثرت مكائد الاعداء ، ومؤكدا قول القائد العربي الوحدوي الرفيق المناضل حافظ الاسد : ان الانتكاسات التي اصيبت بها محاولات الوحدة لا يجب ان تقودنا الى اليأس ، وانما الى المزيد من تكثيف الجهود والتصميم لتتغلب في النهاية على التصميم الاستعماري ، الذي قرر ان لا يترك فرصة لنجاح اية عملية وحدوية .

● د. خضر زكريا :

في بحثه « التبعية عقبة اساسية في طريق تحقيق الوحدة العربية » قال : ان التبعية هي من اكبر العقبات امام التقدم والوحدة . انطلاقا من ان الوحدة لا يمكن ان تقوم الا بين اقطار متحررة من الهيمنة الاستعمارية ، تكون سلطاتها السياسية ممثلة للقوى الاجتماعية صاحبة المصلحة الحقيقية بالوحدة . وقال انه سيقف عند الاشكال المعاصرة للتبعية ، مشيرا الى ان اهم اشكال السيطرة الاستعمارية تتجسد في السيطرة الاقتصادية .. التي انتقلت من سلب المواد الاولية والثروات الطبيعية الى تصدير البضائع ، والرساميل الى تصدير التكنولوجيا الحديثة

وما يتبعها من خبراء وفنيين واداريين .. واخيرا الى تصدير المستهلكات الترفيهية لامتصاص كامل المتنوع الاجتماعي في بلداننا . التي ظلت بعد نحو ٤٠ سنة من الاستقلال (لبعضها) تابعة لرأس المال الاجنبي مستقلة من قبله .

وحدد جملة من اشكال التبعية المعاصرة منها :

١ ـ التبعية الخارجية :

« خاصة للغرب الراسمالي » ، مشيرا الى انه في عام ١٩٧٨ ذهبت نسبة ٦٩٪ من الصادرات العربية الى الولايات المتحدة والغرب واليابان ، وكانت هذه الصادرات قد تضاعفت ـ ١٢ ـ مرة من عام ١٩٦٠ الى عام ١٩٧٧ في الوقت الذي كانت نسبة الواردات العربية من هذه الدول ٧٤٪ . وتوصل الى نتيجة مفادها ان الدول النامية خسرت في تجارتها مع الغرب (١٠٠) مليار دولار ، وهي على سبيل المثال تبيع ـ ١٢ ـ سلعة للغرب بـ (٣٠) مليار دولار بينما تباع هذه السلع للمستهلك بـ ٢٠٠ مليار دولار .

٢ ـ التبعية الناجمة عن الاستثمارات الاجنبية :

قال انه في عام ١٩٦٨ منحت المانيا الغربية قروضا وتسليفات للدول النامية بـ مليار و ١٠٠ الف مارك ، بينما سحبت من هذه البلدان على شكل ارباح .. ما يقارب المليار مارك . وفي آخر ١٩٧٨ بلغت توظيفات المانيا الاتحادية ٢٧٥٣ مليون مارك ، منها ٤٦٪ في المنطقة العربية ..

وقال : ان هذه التوظيفات تؤدي الى تراكم الدين وبالتالي زيادة الاقتراض والتأخر عن الدفع .. حيث تضاعفت ديون العالم الثالث ثلاث مرات والعربية منها اربع مرات خلال سبع سنوات . فرئيس الوزراء المصري يعلن في ٢١ ـ ١١ ـ ١٩٨٥ ان ديون مصر بلغت ـ ٢٤ ـ مليار دولار .

ويصل الباحث الى استنتاج مفاده ان الاعتماد على راس المال الاجنبي هو وهم وحتى اذا ما توفرت او عرضت رؤوس الاموال هذه فانها تستثمر بشكل مشروط وفي المجالات الاوفر والاسرع . ويعرض قول الاقتصادي المصري المشهور د. فؤاد مرسي فيها في قوله : انها تعجز عن التنمية خاصة الصناعية .. وهي احتكارية ارباحها خيالية وتصدر للخارج .. اي انها تضمن تخلف البلد وتكرس التبعية .

٣ ـ التبعية التكنولوجية :

يقول : المشروع لكي ينجح يجب ان يستخدم التقنية ، والتقنية عادة غربية

يتبعها الخبراء والمديرون .. ومن اشكال التبعية هذه يقول : اشراك بعض البل[دان] بانتاج حلقة واحدة او اكثر بسبب رخص اليد العاملة ..

٤ ــ التبعية العسكرية :

فيها يقول أن نفقات التسلح في الدول النامية زادت بين ١٩٦٠ ــ ١٩[٧٤] ثلاثة اضعاف .. وحسب ما تقول صحيفة التايمز فان الولايات المتحدة تبيع الا[ن] مما يبيعه العالم كله من السلاح ، خاصة في « الشرق الاوسط » ، حيث أن دو[ل] «الشرق الاوسط» استوردت ٧٥٪ من مبيعات الاسلحة الامريكية البالغة ٢٫١١ مل[يار] دولار والخليج العربي وحده استورد عام ١٩٧٤ سلاحا بقيمة ٣٫٤ مليار دولار [في] حين ان اول شرط لهذه الاسلحة هو عدم استخدامها ضد اسرائيل .

٥ ــ التبعية الغذائية :

الانتاج الغذائي يتراجع او يراوح مكانه .. وفي المنطقة العربية انخفض انتا[ج] القمح من ٧٫٥ مليون طن عام ١٩٧٠ الى ٧ مليون طن عام ١٩٧٧ . وسورية وحد[ها] استوردت غذاء بقيمة ــ ٢ ــ مليار ليرة سورية عام ١٩٨٢ و ٣٫٢٧٥ مليار عام ١٩٨٣

واورد عن القلقيلي قوله : أن الدول العربية استوردت عام ١٩٨٠ بقيمة ــ ٢٠ ــ مليار دولار مواد غذائية . وقال : أن الانفاق على الغذاء سيتجاوز الـ ــ ١٠٠٠ ــ مليار دولار عام ٢٠٠٠ ، وتساءل : فهل ستتوفر لدينا الاموال ؟ وهل سنظل بـ[عد] هذا محافظين على سيادتنا ؟!.

ولقد فصل الباحث كثيرا ــ قياسا على الفقرات السابقة ــ في شرحه للتبعـ[ية] الغذائية والاسلوب الخاطىء في حل المسألة الزراعية وصولا الى استعراض ونقـ[د] التجربة الزراعية في الجزائر .

٦ ــ التبعية الثقافية :

اكد الباحث أن دراستنا وتعريبنا واخذنا للعلوم الاجتماعية يعتمد على الغرب .. وأن ٩٠٪ منه نأخذه مترجما والباقي هو نوع من المحاكاة .

ثم تحدث عن بعض الاثار الاجتماعية للتبعية الاشد خطورة والتي تدفع باتجاه الطفيلية والنشاط غير المنتج .. وقال : لعل ابرز اثار التبعية تعميم النمط الاستهلاكي الاسلوب الاحدث لامتصاص فائض الاموال والذي تجسد خاصة في الدول النفطية ، الامر الذي ساق الى احتقار العمل المنتج وتفشي الفسـ[اد] وتضاؤل اهمية العلم والثقافة حتى اصبح المال هو القيمة الاساسية المعترف بها .

وانتهى الى القول : « نحن في نظر هذا الغرب مساحة لا انسانية مسطحة ومجرد مورد وسوق » .

ورغم اهمية هذا البحث فانه جاء بحثا عاما ومتسرعا بعض الشيء ، ومقتضبا في مسائل ومفصلا في اخرى لها نفس درجة الاهمية . فهو في معالجة التبعية الخارجية او الناجمة عن الاستثمارات او التكنولوجية او العسكرية اقتضب ، بينما فصل في بحث التبعية الغذائية ودخل في مفردات فشل حل المسألة الزراعية وتطرق لنقد المسألة الزراعية في الجزائر .. ولنفحات ادبية تبية لحنا بينة .. الخ ..

كان على الباحث ما دام يتحدث عن التبعية ، كعقبة اساسية في طريق الوحدة العربية ، أن يحدد بصورة اوضح درجة الاعتماد على الاستيراد ، والتركيز السلعي للصادرات ، وعدد الشركاء التجاريين في حالتي الاستيراد والتصدير . وهو ولاشك تحدث عن هذه المسائل بشكل او باخر ، ولكن ليس بما يخدم الغرض تماما ، فقد اورد على سبيل المثال احصائيات حول الاستيراد والتصدير وارقام تتعلق بالتجارة مع الغرب الراسمالي ، قال مثلا ، أن نسبة الواردات العربية من الغرب بلغت في عام ١٩٧٧ ــ ٧٤٪ ــ ولكن لم يقل لنا ما هي نسب الواردات والصادرات العربية في ذلك العام او قبله او بعده ، وهي الاهم لمعرفتنا ووعينا ، وموضوعنا المحدد ، مع انها متوفرة في المصادر ذاتها التي استخدمها الباحث .

وما دام الباحث قد تحدث عن التبعية الناجمة عن الاستثمارات الاجنبية ، فقد كان من المنطقي ان يتحدث عن الارصدة العربية في بنوك الغرب ، تلك التي تشكل القسم الاعظم من الاموال التي تعرض او تقدم للاستثمارات في البلدان النامية والعربية منها .

ومعروف انه منذ حدوث الطفرة النفطية دابت الامبريالية على العمل لاعادة تدوير الفوائض ــ الناجمة عن البيع المتزايد للنفط عالي الثمن ــ مستخدمة اقنية العلاقات الاقتصادية ، السياسية ، الاجتماعية والعسكرية كافة . وبموجب تقديرات وزارة المال الامريكية استخدمت أوبك في الغرب بين عام ١٩٧٤ ــ ١٩٨٠ ــ ٢٣٢ ــ مليار دولار اغلبها من الدول النفطية الخليجية . في البداية كان قسم من هذه الاموال يذهب الى الدول العربية الفقيرة على شكل قروض بفائدة ٤٪ وعبر ما يسمى صناديق التنمية التي بدات بصندوق التنمية الكويتي ثم القطري والاماراتي والسعودي .. الخ .

ومع تعقد تدفق هذه القروض الى الدول العربية ، بسبب الشروط التي راحت تفرضها الدول النفطية العربية والتي من شانها ان تفضي الى تبعية شبيهة

بتبعية هؤلاء للغرب ، من انتقاص لحق السيادة والتصرف بعيدا عن القوانين الداخلية المرعية . . الخ . مع هذا التعقيد تصاعد تحول رؤوس الاموال النفطية الى الغرب الراسمالي .. وراحت رؤوس الاموال هذه تتحول الى واحدة من القنوات الرئيسية لتغلغل الاحتكارات الكبرى في المنطقة العربية ، اذ ان الشركات المتعددة اخذت تقدم رؤوس الاموال هذه الى الدول العربية ، التي لديها نقص في التمويل ، بفوائد عالية جدا زيادة على الشروط الاخرى . واصبحت كل ٦ - ١ مليار دولار توظفها هذه الشركات تجلب سنويا - ٥ - مليار دولار على شكل ارباح وفوائد ورسوم استثمار ، كما يشير ادموند فرنون في كتابه «النتائج السياسية والاقتصادية للشركات متعددة الجنسية» . . الى ان تضاعف الدين العربي بين ١٩٧٠ - ١٩٨٠ من ٧٫٣٧ مليار دولار الى ٦٩ مليار دولار ووصوله عام ١٩٨٣ الى ١٠٠ مليار دولار ، حسب رواية بونا بند كولف بانك في البحرين . وهذا الواقع من شانه اولا ان يفضي الى انعدام التكامل والتناسب بين النفطيين العرب وغير النفطيين ، ومن شانه ان يعمق التبعية وبالتالي التجزئة والابتعاد موضوعيا عن العمل او التفكير الوحدوي ولو في حدوده الدنيا ، زيادة على ان قسما من رؤوس الاموال هذه يذهب لدعم الرجعيات في العالم،ابتداء من نيكاراغوا او اية قوى رجعية في داخل البلدان العربية التقدمية ، الامر الذي يقوي اعداء الوحدة ويضعف اصدقاءها .

في التبعية التكنولوجية يتحدث عن ضرورة استخدام التقنية ، والتقنية هي غربية عادة .. فتعطي للاقل تقدما واحيانا تشرك البلدان التابعة بانتاج حلقة واحدة او حلقتين .. الخ ولكن للمسالة هذه ابعادا اشمل في الواقع،فالشركات تتبع لهذا اساليب مختلفة ، فاحيانا تعطي التكنولوجيا الاسهل ، واحيانا تسمح بانتاج حلقة او حلقتين ، واحيانا تسمح بالصناعات ، التي تحتاج اليد العاملة الاكثر والطاقة الاكثر ، والملوثة اكثر . . واحيانا تعطي التكنولوجيا المعقدة . . ولكنها بالنهاية هي المتحكمة ابتداء من التصميم والادارة حتى التسويق . . وحتى في حالة انعدام امكان التحكم فانها تعطي هذه التكنولوجيا المتقدمة بشروط ، ظاهرها مغر جدا الى ان يحين موعد سداد الثمن السياسي فيقف كل شيء . ومثال بولونيا حي صارخ ، فقد قدمت الولايات المتحدة التكنولوجيا المتقدمة وبشروط مغرية،وعندما حان وقت الثمن توقف الامداد ، توقفت قطع الغيار ، توقف كل شيء مما مهد للازمة القاسية جدا التي عاشتها بولونيا في سنوات خلت وما تزال تتحمل آثارها .

استيراد التكنولوجيا هذا افرز في الوطن العربي رجعية اكثر وتبعية وبالتالي تجزئة اصلب . . حيث ادت هذه التبعية الى تشوهات خطرة في اقتصاديات الدول العربية تمثل بنمو قصير المدى ، وانعدام التوازن ، وتطور نماذج راسمالية اكثر محافظة وجدت ان بقاءها مرتبط بالمحافظة على البناء الدولي القديم،وبالتالي التجزئة

العربية . اخيرا نستطيع الجزم بان الباحث تركنا نستنتج نحن كيف تقود التبعية الاقتصادية الى تبعية سياسية .. لقد كان عليه في عرض كل مظهر من مظاهر التبعية ان يجري الاسقاطات او المقارنات السياسية اللازمة ، بما يخدم عنوان البحث تماما .. وخاصة ان هناك من يصر ، كما اشار هو وغيره ، مع ذلك ، على فوائد التبعية او فوائد في التبعية . ليسمح لي القارىء بالتعبير عن وجهة نظري في هذه المسالة على النحو التالي :

في مقابلة مجلة نوفيل اوبزرفاتور لفورنييه - المساهم الاكبر بتاسيس نادي روما والعامل على ان تقدم الامبريالية لنا نفسها ضمن اطر مؤسسة «حيادية» ذات طابع اقتصادي تقني - قال : ان العرب تورطوا في حروب مع « اسرائيل » ، جعلتهم يبددون مليارات الدولارات وساعات العمل ومنعتهم من رؤية قضاياهم .. الى قوله وكان يجب ان ينتهي هذا الى واقعية السادات الذي ادرك ان بلاده لن تحقق شيئا بالحرب سوى الدمار ، فالاولى به ان يقفز من قصور في الحرب الى بطولة في « تحقيق اقتصاد السلام » . وهكذا ياتي الانفتاح ، ويتابع فورنييه : ان الزمن تخطى مشكلة « اسرائيل » ، فالخطر المحدق بالعرب هو ان يصبحوا اكثر شعوب الارض فقرا عندما يصبحون - ٢٠٠ - م نسمة . ويؤكد فورنييه : ان الضمانة الوحيدة لتجنب الانفراط ، والثورة هي التنمية .. وبدون مواربة يطرح « معاهدة التضامن الثلاثية» التي ، حسب رايه ،توفر «الاستقرار الحضاري للاعضاء العرب»و«النهوض الحضاري لفقرائهم » و « الاحتضان الحضاري » من قبل العرب .

وهذا هو بعينه النفوذ الاكثر تغلغلا والاقل ظهورا للحضور والتجديد الامريكي كما يقول برجنسكي .. الذي قاد الى المجاعة القائمة في مصر الآن ، والى ديون بلغت - ٢٤ - مليار دولار عام ١٩٨٤ حسب رواية صندوق النقد الدولي ، والى ان يسكن - ١ - ملايين انسان في المقابر بالقاهرة، والى ان تصبح مصر قلعة الانفصال والتبعية والتصدي للمشروع العربي الثوري الوحدوي .

● الرفيق د. مطانيوس حبيب :

قدم بحثا بعنوان « الوحدة العربية ودورها في التنمية وتجاوز التخلف » قال فيه : ان الاقطار العربية مقسمة الى غنية وفقيرة ، الامر الذي جعل فكرة الوحدة العربية تتناقض « ظاهريا » مع مصلحة الاغنياء العرب . او ان الدول العربية الغنية نظرت الى الدول العربية الفقيرة نظرة من يريد ان يقاسمها ثرواتها، وبخشى من ان تتعمق هذه النظرة شعبيا ، بالرغم من الشعور القومي الرابط بين المجموعتين . وقال : ان الاقطار الغنية « يجب » عليها ان تنطلق من مسالة الوحدة ، و « يجب » الا تهمل التفكير في عصر ما بعد البترول .

ومن هنا تاتي ضرورة التكامل الاقتصادي العربي ، في رايه . وقال : ان تكون تجربة السوق الاوروبية المشتركة مجالا لاستخلاص العبر ، فو... لم تكن الا ردا على التحدي الامريكي في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، حيث ... اوروبا منهكة من الحرب بينما خرجت الولايات المتحدة قوية .

وقال الباحث : ان البترول ليس حلا ، وان ما يجري في ... النفطيات هو نمو وليس تنمية ، باعتبار « ان التنمية عبارة عن عملية تغيير ... نصيب البنى الاقتصادية والاجتماعية ، بحيث توفر خلق الشروط لنمو ... مستمر » . بينما النمو « مجرد زيادة اجمالية في الناتج في اطار بنى اقتصا... بطيئة التطور » . وكذلك استعرض الباحث التجارب الاخرى من اجل ... فقال : ان الجزائر اختارت التصنيع طريقا للتنمية ، ولكن بعد عشر سنوات ... الاستقلال بدات تحس بالصعوبات التي تنجم خاصة عن السوق الضيقة ، وكذا الحال بالنسبة لسورية وغيرها ؟ الامر الذي يحتم على هذه البلدان احد خيارات ثلاثة : ١ – الاندماج بسياسة الشركات متعددة الجنسية وبالتالي التخلي عن السياسة الوطنية للتنمية ، ٢ – الاكتفاء بالانتفاع بجزء من الطاقات الانتاجية المقامة ، وتخفيض الانتاج بما يكفي حاجة السوق الداخلية ، الذي يؤدي بدوره الى رفع التكلفة وزيادة السعر وعرقلة التنمية ، ٣ – الدخول في تكامل عربي ... القليمي يفسح المجال امام كل قطر عربي للتخصص ، غير ان عملية التكامل في ... ممكنة ، الامر الذي يجعل الوحدة العربية الاطار الاكثر ضمانة لخلق التكامل الاقتصادي .

وانتقل الباحث فجاة للحديث عن التقدم التقني وضرورته قائلا ان ٥٠٪ من الزيادة في نصيب الفرد في اليابان ترجع الى التقدم التقني .

كما ان الدراسات اظهرت ان التقدم ساهم بنحو ٩٠٪ من الزيادة في معدل نمو الاقتصاد الامريكي و ٥٠٪ بالنسبة للاقتصاد الفرنسي .

ثم دخل في حديث طويل على مدار ثماني صفحات عن التكنولوجيا وضرورتها والتبعية التكنولوجية ، تلك التي تم الحديث عنها في بحث الدكتور خضر زكريا .

وفي معرض حديثه عن الوحدة العربية ، كضرورة اقتصادية ، تطرق الباحث الى حرب تشرين التحريرية ، التي استطاعت دول الاوبك عبرها ان تفرض سعرا « اكثر عدالة » وبعيدا عن سيطرة الشركات ، مما زاد في دخول العربيات ، التي فتح امامها طريق النمو ، واضاف : انه رغم « هذه النجاحات فان كثيرا من العراقيل والاختناقات قد حدث من استغلال العناصر الايجابية في الموقف العربي .. وهذه بالطبع ترجع الى حالة التجزئة وتعدد الارادات العربية . حيث ظنت بعض

النفطيات وبعض المفكرين القطريين ان الثراء المفاجيء يمكن ان يحل مشكلة التنمية ويضع هذه الدول في صف الدول المتقدمة وندا لها . وقال : ان موقف الدول الامبريالية « المعادي » للاقطار النفطية العربية غذى مثل هذه الاوهام ، وكذلك الوعود التي قدمت للسادات .

ولكن يقول الباحث « ما ان تحقق للامبريالية ماتشاء حتى تعرت تلك الاوهام » . وقال الباحث : ان اهم التحديات التي تواجه الامة العربية في سعيها لتحقيق نهضتها تنحصر في التخلف التاريخي للوطن العربي ، المتمثل باختلال الهيكل الانتاجي ، ونقص البنى الاساسية ، وتخلف التكنولوجيا ، وقصور القوى البشرية .. وطالب الدول الغنية بان تتحمل نصيبا اكبر في اقامة البنى الاساسية « من اجل توسيع الترابط بين اجزاء الوطن العربي وتامين طرق نقل واتصال بتكاليف منخفضة مما يوسع السوق القومية ويفسح المجال امام قيام صناعات عصرية ذوات قوة تنافسية على المستوى الدولي » .

ثم عاد للحديث عن التكنولوجيا وضرورة امتلاكها وليس استيرادها .. وبين فقر العربيات رغم امتلاكها الثروات والنفط خاصة ، مشيرا الى تقديرات قامت بها مجموعة تقويم مستقبل التنمية العربية تقول : بان المتبقي من النفط لا يكفي لاكثر من ١٨ عاما ونصف في حدود انتاج عام ١٩٧٧ .. وقال ان المسالة الاكثر خطورة هي مسالة الامن الغذائي .. وطالب الاغنياء ايضا بتقديم المساهمة فيه ، والا فان قدرة الامة العربية على اتخاذ قرارات اساسية ستبقى محدودة .

ولم ينس الباحث بعد هذا أن يؤكد ان التنمية العربية الشاملة لاتحدث في فراغ ، بل في اطار من العلاقات الاقتصادية الدولية والاقليمية .. وان التنمية العربية هي قبل كل شيء عملية تحرر من التبعية وتصحيح الاختلالات في الاقتصاد القومي وتحقيق درجة عالية من التكامل الداخلي ..

وتحقيق هذا التحرر غير ممكن بدون توافر قوة اقتصادية متكافئة « مع القوى الاقتصادية المهيمنة في العالم » . فعلاقات العربيات « الخارجية غير متكافئة » وهي شريك « ضعيف » في العلاقات الاقتصادية الدولية وتظل تابعة للسوق الراسمالية العالمية . على الرغم من ان الامة العربية تملك اسلحة اقتصادية قوية لتحسين وضعها في السوق الدولية .. وقدر الباحث ان هذه الاسلحة اخذة في التقهقر بسبب انخفاض اسعار النفط ، الذي يخشى ان تنقلب الى اسلحة مضاده .

وينتهي الباحث الى القول : والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا لا تستخدم الامة العربية هذه الاسلحة للدفاع عن مصالحها واقامة علاقات اقتصادية

متكافئة مع العالم الخارجي ، تسمح بوقف نزيف الفوائض الاقتصادية العربية نحو الخارج ، وتوفر عوامل تنمية حقيقية في الوطن العربي !!

ويجيب : مهما اختلفت الاجوبة فانها لابد ان تصب في اطار واحد هو تجزئة الامة العربية واستحالة اتخاذ موقف موحد .. لذلك فالعلاج الوحيد يكمن في الوحدة ، مصادقا على قول من قال : « بان حرية العرب في قوتهم » . والتي هي ليست العسكرية فحسب ، بل وقبل ذلك ، الاقتصادية . وباعتقاده انه ما لم تقتنع الجماهير بحقيقة ان الوحدة هي الطريق الوحيد لتجاوز التخلف وتحقيق التنمية ستبقى دعوات مثل العمل العربي المشترك والتعاون العربي او التكامل الاقتصادي العربي ، مجرد دعوات عاجزة عن توفير الارادة الضرورية لتحقيق التنمية وتجاوز التخلف .

والحقيقة ان بحث الرفيق د. مطانيوس رغم حشد المعلومات الواسعة فيه جاء مفتقدا المنهجية في البحث، الامر الذي ادى الى التعميم وعدم استبيان طريق واضحة في التحليل او نتائج علمية يفترض ان تترتب عليه . فمرة نراه يطالب الدول النفطية العربية بالمساهمة بالامن الغذائي العربي وبان تتحمل نصيبا اكبر في اقامة البنى الاساسية العربية .. الامر الذي من شانه ان « يوسع السوق القومية ويفسح المجال امام صناعات عصرية ذوات قوة تنافسية على المستوى الدولي » ، ومرة نراه يؤكد ان « التنمية العربية هي قبل كل شيء » عملية تحرر من التبعية وتصحيح الاختلالات في الاقتصاد القومي » ، مرة يتحدث عن ان العلة في الامبريالية ، ومرة يقول بان التحرر غير ممكن بدون توافر قوة اقتصادية متكافئة « مع القوى الاقتصادية المهيمنة في العالم » ، ويفسر هذا اكثر في حديثه عن « علاقات الدول العربية الخارجية غير المتكافئة » . اي ان الباحث يطلب هنا بكتلة عربية تجد لها مكانا بين الكتل .. كتلة فاقدة المضمون .. غير انها ممكنة في رايه ، بازالة التجزئة وينتهي كل شيء الى ما تريده الامة العربية . ثم ان مفهوم « القوى الاقتصادية المهيمنة في العالم » والعلاقات « الخارجية غير المتكافئة » يضع ، وللاسف الشديد ، الامبريالية والاشتراكية في صف واحد .. ويبدو ان هذا الامر ليس سقطة قلم عند الباحث فقد قال في مداخلته على بحث الدكتور خضر زكريا « ان التبعية ليست للنظام الراسمالي فقط » .. وهنا لابد من التاكيد على ان العلاقة مع الدول الاشتراكية هي علاقة تدخل في باب العلاقات المتوازنة المبنية على المصلحة المشتركة ، غير المتعارضة مع اهدافنا ، المساعدة لنا على بناء القدرة الذاتية ، الداعمة لنا في صراعنا مع العدو الامبريالي الصهيوني الرجعي ، الاخذة بيدنا لبعث التحرر والنهوض الاقتصادي الاجتماعي الوحدوي . هذا النهج ظل مرافقا للباحث على مدار ٢٦ صفحة استخدم فيها ١٨ مصدرا واحد منها فقط اشتراكي ولاقل من سطر يتعلق بالتكتلات العملاقة ، في حين كان

اغلب ما ساقه الينا يتعلق بوجهات نظر اسماء مثل دوبرنيس ، تشيلو فور كادو ، ليوفيل ستولرو ، ومركز الابحاث الياباني ودراسات امريكية .. الخ . وعرض المقارنات مع السوق الاوروبية المشتركة دون غيرها . مع ان طبيعة البحث تتطلب الحديث عن الكوميكون . وفي تحديده للخيارات الثلاث الوحيدة الموجودة امام العرب قال : أما القبول بسيطرة الشركات متعددة الجنسيات ، او الانتاج القليل مرتفع الكلفة او التكامل العربي .. وبما ان اختلاف الانظمة يمنع التكامل فالوحدة هي الاطار الاكثر ضمانة كما يرى الباحث .. وهذا يعني انه علينا الانتظار الى ان تاتي الوحدة من تلقاء ذاتها . وبدل من ان يتحدث في شروط التكامل الاقتصادي العربي وكيفية تحقيقه ، انطلاقا من الممكن او ايجاد خيار رابع وهو العمل لايجاد او بناء علاقة تكاملية بين الاقطار العربية المتحررة ، تتقوى بمساعدة الاصدقاء في العالم .. الخ ادخلنا في حديث طويل عن التكنولوجيا اخذ ٨ صفحات كاملة ، توصل بعده الى الحديث عن حرب تشرين في ص ٢١ على النحو التالي : « وهكذا حتى دماء الشهداء والتضحيات التي تحملتها الامة العربية في حرب تشرين التحريرية والتي بدا ظاهريا انها يمكن ان تنعكس ايجابيا على نضال الامة العربية ، ويمكن ان تقود الى تحسين أوضاعها في الاقتصاد الدولي تحولت الى عكس ذلك تماما ، في ظروف التجزئة واستراتيجيات التنمية القطرية ، فقد قادت الى تعميق تبعية اقطار الوطن العربي نحو العالم الخارجي ، وتعميق التبعية التكنولوجية التجارية بالنسبة لاقطار المجموعة الاولى وتعميق التبعية المالية والتكنولوجية والتجارية بالنسبة لاقطار المجموعة الثانية » .. ولكن رغم ذلك كله فقد انعكست نتائج حرب تشرين في راينا ايجابيا بشكل ملموس على نضال الامة العربية وليس كما يقول الباحث « بدا ظاهريا انها يمكن ان تنعكس » . ثم ان حرب تشرين لم تقد « الى تعميق تبعية اقطار الوطن العربي نحو العالم الخارجي » ، ان الذنب في هذا ليس ذنب الحرب، التي انتصر فيها العرب لاول مرة في تاريخهم الحديث ، وانما هو امر مترتب على السياسات الامبريالية التي وضعت للانقضاض على النتائج الايجابية التي افرزتها حرب تشرين التحريرية ، والتي كان منها ما كان من الكمب ، الى حرب الخليج ، الى لبنان ، الى خلق الكتل والظروف التي من شانها ان تفرض التبعية وبالتالي الهيمنة الامبريالية على المنطقة .

قال الباحث في بداية بحثه : « ان الاقطار العربية مقسمة الى غنية وفقيرة الامر الذي جعل فكرة الوحدة تتناقض ظاهريا مع مصلحة الاغنياء العرب » .

ونقول للباحث : في الحقيقة التناقض حقيقي واقعي وليس ظاهريا .. وان هذا الاغفال – المتعمد على مايبدو – للمضمون ابعد الباحث عن الحديث في الواقع والممكن . وبافتقاد المنهجية في البحث وضعنا الرفيق الباحث وللاسف امام معلومات متراكمة متعارضة غير متفقة اصلا مع تفكيره ونهجه العلمي .

● د. عارف دليلة :

قدم بحثا بعنوان « البعد الاقتصادي للوحدة العربية في الفكر الاقتصادي العربي المعاصر » ، قال فيه : أن المسالة الاقتصادية تشكل احد الابعاد الاساسية للوحدة العربية،ولاهمية الموضوع ووسعه،وجدت انه من المفيد عرض بعض المحاور التي انشغل بها الفكر الاقتصادي العربي ، كمساهمة في النقاش ، ذلك ان الموضوع اياه يتطلب قراءة جميع التصورات القائمة على الساحة العربية .. والا فان المسالة ستكون تنظيرا من طرف واحد .

قسم الباحث بحثه الى عشرة موضوعات رئيسية على النحو التالي :

١ ـ البعد السياسي الاقتصادي للوحدة العربية : جاء فيه : ان محاولة ايجاد طموحات اقتصادية وراء الطموحات الوحدوية تعود الى الاربعينات واوائل الخمسينات ، في وقت كانت السلطة ، في الدول المستقلة وشبه المستقلة ، بيد خليط من الاقطاع والبورجوازية التجارية ، الطامحتين للمزيد من النمو ، لكن الهجمة الامبريالية ، وقيام الكيان الصهيوني والاحلاف .. ذلك كله ادى الى طغيان الطابع السياسي على نداء الوحدة .. فجاءت وحدة ١٩٥٨ سياسية قبل كل شيء ، ثم عسكرية واخيرا اقتصادية .. ولقد ادى فشل الوحدة الى بروز من يقول بالاندماج الاقتصادي كاساس للوحدة ، وقد طرح هؤلاء الوحدة المدروسة بدلا من الوحدة الفورية . وبينما قاد السياسيون الزحف الوحدوي الجماهيري في الخمسينات ، غاب دورهم في الستينات ليتقدم اصحاب الدعوة الاقتصادية ، الذين كانت مساهمتهم سلبية وعقيمة . وقال : عندما اقدم السياسيون على الوحدة كانوا في موقع السلطة وبيدهم القرار ، بينما عندما اقدم الاقتصاديون عليها كانوا خارج السلطة ، الامر الذي جعل دعواتهم تذهب كصرخة في واد . على ان الفكر الاقتصادي العربي تطور خلال ربع القرن الماضي تطور ملموسا رغم مايعانيه من امراض حيث ان جناحا كبيرا منه ما زال يتلمذ ويتلميذ كالببغاء على يد المعلمين الغربيين ومنسوخاتهم الاكاديمية الى العربية . كما ان هناك جناحا يسميه ميردال « الاقتصاديون الحرفيون » ، يعمل في خدمة الحكومات والمنظمات الدوليةوالعربية والشركات .. وقد تحول هؤلاء الى عبادة شكليات ميتة غير ذوات معنى او مضمون، بقدر ما تهدف الى الحاجات الانية للجهات المشرفة عليها . ورغم ذلك ـ يقول الباحث ـ ففي الساحة الان الكثير من المفكرين الاقتصاديين الذين افلتوا من الاطر الخانقة تلك واستمروا يطورون مناهجهم التحليلية الانتقادية للواقع الاقتصادي والاجتماعي القطري والقومي ، ويطرحون البدائل .. ويتجه التطور النوعي ، الذي عرفه الفكر الاقتصادي العربي في العقدين الاخيرين ، للتعميق في منحيين متكاملين : الاول ، تحديد مضمون عملية التنمية ، والثاني تاكيد البعد القومي للتنمية .

٢ ـ مفهوم ومحددات التنمية العربية : يجري الحديث عن منظومات ومات اساسية مثل الاعتماد على الذات والتنمية المستقلة ، والتحرر الاقتصادي ضمون للتحرر السياسي القومي ، وقاعدة للتحرر الاجتماعي ، واشباع الحاجات اساسية للجماهير ، والكفاءة .. الى ان شاع التساؤل هل هذه هي التنمية ؟! هل يحدث ، مثل تزايد الدخل القومي والتوسع في البناء والتشييد وتضخم واردات لحكومة ونفقاتها وتحسين مظاهر الرفاه ، وتعاظم الثروات في بعض الاقطار مع اظم الفجوة مع الاقطار العربية الاخرى .. ، هو تنمية حقا !!

وقال : في الواقع : لقد زالت عن اعين الكثيرين الغشاوات التي اعمتها ن رؤية الجوهر،الذي مارست تشويهه قوى البورجوازية،والقوى الدينية،ولاحقا لاموال النفطية ، التي استطاعت ان تعمي ولسنوات طويلة بمساحة ليست قليلة ن العقل العربي .. زالت تلك الغشاوات امام ضغط الكوارث التي تنهال على لجماهير المسحوقة ، التي خسرت الحلم ولم تربح شيئا في الواقع .

٣ ـ البعد القومي للتنمية العربية : ورغم التقصير في كل شيء ـ قال ـ كان هناك شبه اجماع على ان التنمية العربية لا تستقيم في اي واقع قطري عربي ، حيث اصبح البعد القومي المعيار الاهم في يد الفكر الاقتصادي العربي ، الذي اثبت ان التنمية على المستوى القومي هي المعيار الوحيد للتنمية في اي بلد عربي .وامام هذه الحقيقة : كيف نفهم الراي القائل بان الفكر الاقتصادي العربي يعاني ازمة هي جزء من أشكالية الفكر السياسي الوحدوي ؟!

ان اهمية البعد القومي تقود الى ارجاع ازمة الفكر الاقتصادي العربي الى فشل المشروع الثوري القومي العربي في تحقيق ذاته .. مما ادى الى الانفصال بين مسيرة الواقع ومسيرة الفكر .. لاشك ان الفكر الاقتصادي العربي قطع شوطا طويلا في مسيرته ، الا انه بدا يفقد زمام المبادرة امام التعقيدات الجديدة ، ذلك ان المشروع الثوري لابد له من التوصل الى بناء نظري كامل يوضح سبل الانتقال وعناصر البناء بصورة عقلانية ومفصلة .

٤ ـ التنمية العربية : قال ، ورغم التقاء الفكر العربي حول عناصر محددة لمفهوم التنمية ومضمونها وخصوصياتها ، فانه لم يستطع الخروج بمفهوم التنمية المستقلة من جميع تناقضاته،بل ان التراجعات في السبعينات زادته تعقيدا .. وجاءت الطفرة النفطية لتكشف خلل وتناقضات هذا الفكر .. الامر الذي ابرز مسالة تحديد علاقة التنمية بالاستقلال او التبعية .. غير أن بعض المفكرين تجاهل المضمون السياسي الاجتماعي للتنمية وقال « بان السياسات التي تؤدي الى تكامل دول عربية معينة واندماجها اكثر فاكثر بالسوق الراسمالية ، والتي

تحافظ على حالة التبعية ، لا تؤدي بالضرورة الى الركود وابطاء عملية التي
بل بالعكس فان عددا من الدول التي تدعو الشركات الدولية للنشاط وتنهي
الصناعة بها ، والتي تعتمد قوة العمل الواحدة ، هي من بين الدول التي
اعلى معدل نمو » . والملاحظ ان الشركات استجابت اكثر لحافز انخفاض ا
الطاقة اكثر من حافز انخفاض الاجور .. ولذا فان التنمية مع التبعية ممكـ
كما انها ممكنة مع الاستقلال ، بل ان التنمية مع التبعية قد تكون اسهل احيا
وانه يمكن لتنمية الراسمالية في التخوم ان تصب في الطابع التقدمي للراسمال

ولكن اثبت الواقع – يقول الباحث – سواء في دول التنمية التابعة ، كـ
امريكا اللاتينية وجنوب شرق اسيا ، او الدول العربية ، التي ارادت ان تـ
حذوها ، بان التنمية والتبعية ضدان لا يمكن ان يجتمعا . وان التنمية لا تبنى
بسياسة موجهة للاعتماد على الذات وتقويض مرتكزات التبعية . وقال ان بعـ
اراء الندوات تصل الى القول ان الانفتاح الاقتصادي هو وراء فشل مجهـود
التنمية في اشباع الحاجات الاساسية . وان التجربة المصرية بين ١٩٥٦ – ١٩٦
التي مارست الانغلاق كانت من انجح التجارب في مستوى اشباع حاجات الجزء الافقر
وتقول هذه الاراء ليس من المصادفة ان تشهد تلك الفترة التجربة الجادة للوحـ
العربية لخدمة الاقتصاد العربي لا الاجنبي ، حيث بدأ تكامل اقتصادي حقيقي بـ
مصر وسورية في عام ١٩٥٨ ، بتنسيق الخطتين الخمسيتين .. ومنذ حدث الانفصا
قل بالتدريج الكلام عن الوحدة الاقتصادية العربية .. حتى لانرى احدا ا
يطالب باقامة تعرفة جمركية موحدة او تنسيق خطط التنمية .. انما رفع بد
من ذلك المشروعات الاقتصادية المشتركة .

٥ – من تحرير التجارة الى المشروعات المشتركة ، كمدخل للوحدة الاقتصا
العربية : اورد قولا للدكتور عبد العال الصكبان يقول : ان العمل العربي شهد
موضات .. فقد كان البعض في الخمسينات من انصار حرية التجارة ، ثم جاء دور
الصناعيين ، واذا بالتخطيط كله يقوم على الهندسة والصناعة . وعقد الامل على
الصناعة وحدها ، وعلى دور الماليين والمموّلين والمشروعات المشتركة .. الا ان كلا من
هذه المراحل الثلاث والموضات يعكس في جوهر الامر مرحلة من التطور الاقتصادي
والسياسي في الوطن العربي .. ففي الخمسينات طرحت حرية التجارة .. وبعد
ان قويت نزعة الاستقلال اصبح التصنيع مطلبا ، ثم جاءت الثورة النفطية فاغرقت
الانظمة الوطنية في اوحال السلعة والمال والانظمة النفطية بمليارات الدولارات ..
فاصبحت نغمة المشروعات العربية المشتركة هي السائدة ، كبديل لتحرير التجارة
وليس كمكمل .. وتكرر ان المشكلة التي تواجه التكامل الجدي ليست مشكلة قصور
في الطلب وضيق السوق ، ليست في مشكلة انخفاض مرونة العرض وقلة الانتاج

ة التي تنوعه .. وان ما يحتاجه العرب ليس تحرير التجارة او ازالة العوائق الجمركية وتنهي ما هو اقامة الصناعات غير الموجودة اصلا . واذا كان نمو الشركات الدولية لاياتي تلقويا ، فان المشروعات العربية المشتركة تتطلب التدخل الايجابي لرعايتها وتشجيعها ، يصبح تحرير التجارة ، الذي يمكنه رفع التبادل التجاري بين الاقطار العربية هو عنصر سكوني – حسب راي بعض المحرفين الاكاديميين – بينما اقامة مشروع مشترك معتمد على الخارج في معظم مستلزماته هو العنصر الحركي في المشروع القومي الاشتراكي .

ولقد اثبت – يقول الباحث – ان هذه المشروعات لم تكن سوى امتدادات مشوهة للشركات الاحتكارية ، ولم تحمل معها اي تكامل او اي مشروع قومي وحدوي . ويضيف : ولكن سبب الفشل لا يكمن في تحرير التجارة بحد ذاتها ولا في المشروع المشترك بحد ذاته ، وانما في الارادة المضادة الكامنة وراء كل منهما .

المطلوب اذن – كما يرى الباحث – النزول من عالم الاحلام الى عالم الواقع من واقع وجود دول ليس لها هدف مشترك او ضمير مشترك .. وانطلاقا من هذا الواقع او التصاقا به يجب ان نعمل من اجل التكامل .

٦ – الخطة القومية :

قال : اقر المؤتمر القومي لاستراتيجية العمل الاقتصادي العربي المشترك من ٦ – ١٢ تشرين١ ١٩٧٨ اعتماد خطة قومية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في الوطن العربي ، اضافة الى الخطط القطرية للتنمية الحالية .. كبديل من التنسيق بين الخطط . وقد اعتبرت المشروعات المشتركة اطارا استثماريا للخطة القومية .. وجاء في ميثاق العمل الاقتصادي المقر عام ١٩٨٠ : اعتماد مبدأ التخطيط القومي للمشاريع العربية المشتركة ، كاسلوب لتوجيه وتنظيم العمل العربي المشترك على نحو يقضي بالالتزام باستراتيجية العمل العربي الاقتصادي المشترك ، وعقود التنمية العربية المشتركة ، والخطط القومية المنبثقة عنها . والالتزام بان تتضمن كل خطة قطرية توجها قوميا يتمثل بتخصيص جزء من الموارد لتمويل مشروعات الخطة القومية ، الامر الذي يظهر مدى الترابط بين المشروع المشترك والخطة القومية . وقال : في ندوة المشروعات المشتركة .. بين د. فؤاد مرسي بان « التعاون الاقتصادي بين دول الكوميكون تحكمه قوانين موضوعية نابعة من

اسلوب الانتاج الاشتراكي،وفي مقدمتها ، قانون التنمية الاقتصادية المخططة وقا
التكامل الاقتصادي الاشتراكي ، وقانون الموازنة المستمرة لمستويات نمو البل
الاشتراكية – وللمشروعات المشتركة دور مهم في احداث هذا التكامل . وسيز
هذا الدور وسيكون المشروع المشترك الاداة الاكثر دينامية في بلوغ درجة ا
من تحويل قوى الانتاج في المستقبل القريب » .. اذن المشروع المشترك لايحق
التكامل في حد ذاته ، وانما التكامل هو الاطار الذي يعطي المشروع المش
ابعادا تكاملية .

ويقول الباحث : غير ان الدول التي وقعت على مبدا التخطيط القومي
قمة عمان مالبثت في الدورة ٣١ للمجلس الاقتصادي والاجتماعي ، التي قدمت ال
الخطة لرفعها لمؤتمر القمة ١٢ ، ان رفضت مبدا التخطيط القومي
ليس من اختصاص الجامعة وباعتبار انه « يمس حدود وسيادة الاقطار » .

٧ – مشكلة الفوائض النفطية :

تعتبر مسالة الفوائض المالية والعمالة المستوردة من الموضوعات التي اثار
مناقشات كثيرة مؤخرا .. واسترجع الباحث بعضا مما ورد في ندوة
نظمها المعهد العربي للتخطيط بالكويت شباط ١٩٨٤ بعنوان السياسا
الاستثمارية للبلدان العربية المنتجة للنفط . واورد عن د. ابراهيم سعد الدين
قوله : ان سعر برميل النفط سيرتفع من ١١٫٦ – ١٥٫٧ دولارا للبرميل عام ١٩٧٤
الى ١٦٫٥ – ٢٤ دولارا عام ١٩٨٣ ، على اساس تزايد هذا السعر بسعر فائدة
تضخمي ٤٪ سنويا . كما توقع ارتفاع عوائد النفطيات الست من ٤٠٫٧ مليار دولار
عام ١٩٧٤ الى ١١٢ مليارا عام ١٩٨٣ . والمهم – يقول الباحث – ان السعر في
عام ١٩٨٦ يتراوح حول هذا التوقع ٢٢٫٠ دولارا للبرميل ، مع فارق ان التوقعات
افترضت الرفع التدريجي بنسبة التضخم بينما كان الصعود قفزات حتى ٤٠
دولارا وهبوط الى نصف هذا الرقم .

وقال : ان المشاركين في الندوة قدروا ان مشكلة اسعار النفط تدور
بين طرفين : المستوردة وعجزها عام ١٩٧٤ – ٤٥ – ملياراً ، والمصدرة
وفائضها ٥٥– مليارا . اما الطرف الثالث الضحية – البلدان النامية غير المصدرة
للنفط – لم تكن لتشكل للمهيمنين اية مشكلة ، بل ان المجال انصب فقط على الكرم
العربي في مساعدة هذه البلدان ، بنسبة تفوق ماتخصصه الدول الصناعية للدول

النامية . وهكذا انجر الفكر العربي وراء عجز موازين مدفوعات الدول الصناعية المستوردة للنفط وكيفية تسويته بمساعدة الدول النفطية وهو ما حصل بالفعل . كما اصبحت ازمة النقد الراسمالي على راس اهتمامات المفكرين الاقتصاديين العرب .. بينما لم تحظ المديونية العربية بالاهتمام المفروض . في تلك الندوة ناقش روبرت ما بروان المجال الوحيد المؤهل للاستثمار الفائض المالي العربي هو الاقتصاديات الغربية ، وبالتالي على النفطيات العربيات التضامن مع الاقتصاد العربي كخيار وحيد ، والا فان الصراعات والاضطرابات لن تكون في صالح اي من الطرفين . ويعرض الاستجابة الخليجية على لسان د.فؤاد مرسي في موقفها المعارض للتقلب في قيمة العملات وتخفيضها وتعويمها ، لكن التطورات سارت عكس ذلك ، اذ شهدت العملات الرئيسية منذ عام ١٩٧١ تقلبات حادة وجرى تعويمها.وقد اكد الدكتور مرسي اهمية الحفاظ على امكان تحويل الدولار الى ذهب وضرورة تخصيص القسم الاعظم من حقوق السحب الخاصة للبلدان النامية والتوصل الى اسعار مستقرة للمواد الخام ، بما فيها النفط .. والان فقد فقد الدولار قابلية تحويله الى ذهب ، ولم تتحول حقوق السحب الخاصة الى سيولة اضافية بيد البلدان النامية ، بل الى دولار اضافي بيد الامبريالية..ثم ان اسعار المواد الاخرى لم تستمر بالارتفاع كالنفط ، بل توقفت وتوجهت للانخفاض قبل ان تعود اسعار النفط للانخفاض اصلا .. .

وطرح فكر د. رجائي : حول تهديد الولايات المتحدة للدول النفطية باستخدام سلاح الغذاء ضدها . والتوجه لاستثمار الفوائض العربية في الاحتياطات الزراعية العربية .. ذلك الذي بقي مجرد امنية حتى الان .

وقال : ان التقرير النهائي للندوة عبر عن الاعتقاد بان امتلاك العرب لجزء مهم من السيولة الدولية يمكن الدول العربية من لعب دور رئيسي في اصلاح نظام النقد الدولي .. اما فعليا فقد استخدمت الولايات المتحدة اضطراب النقد الدولي والفوائض النفطية لجني المكاسب الهائلة على حساب جميع الشعوب ، خاصة الفقيرة .

٨ – التكوين الاقتصادي الاجتماعي في الاقطار العربية :

قال : هناك محاولات علمية لتفسير حالة التخلف العربية كجزء من العالم الثالث، وبغلب على هذه المحاولات تفسيرها لحالة التخلف العربية كظاهرة بذاتها.. بعض هذه المحاولات المهمة جاء في ندوة التكوين الاجتماعي الاقتصادي العربي بحث حول النمط الانتاجي العربي ... قيل : ان النمط المسيطر هو نمط راسمالي يجمع بين راسمالية

الدولة والراسمالية الخاصة . وراسمالية الدولة تقسم الى نمطين ايضا : يقوم في ظل غياب قاعدة انتاجية تفرز واقعا طبقيا محددا .. لانها تعتمد ع قادم من صناعة استخراجية .. ولان هذا النشاط يعهد به الى مؤسسات ا اصبحت التبعية لها سمة ضرورية لاستمراره .. اما النمط الثاني فيعد انتقاليا لصالح طبقية وهو اقل شيوعا .. والدولة هنا تعيد توظيف وسائلها لصالح ال الغنية . وتدخل الدولة هنا يمثل ضرورة حتى في اكثر الاوساط مع خاصة اذا قصد توفير مصادر التراكم الراسمالي الخاص فيما بعد .. وفي ال كشفت الورقة التجميعية للندوة عن تعثر مشروع التنمية شبه الراسمالية ، انخذت شكل الراسمالية الخاصة ام راسمالية الدولة . ويتضح هذا في ا القطاعات المنتجة وتقدم الخدمات والتجارة المرتبط بالتبعية ... وتوصلت ا الى التعميم بان كل انجاز تنموي تم لصلحة البورجوازية العربية واضاف البا هذه التعميمات مازالت خاضعة للنقاش ، لكن مايثير التساؤل هو كيف يمكن اح وتنفيذ مشروع تنموي عربي لصالح سائر الطبقات .. وتطرح الورقة آفاقا ال في خيارين : اما تغير القوى الاجتماعية بذاتها او تغير السياسات الاجتماعي وتخلص الورقة الى القول : ان استمرار البنى الاجتماعية والسياسات الت سيعقد ازمة الديمقراطية وسيؤدي الى استمرار الفشل في حل المسالة الو وبالتالي انشاء قاعدة انتاجية عربية وقوة تكنولوجية عربية ، والى تصعيد التف وازمات السكن والغذاء .. وتعميم السلوك الاستهلاكي وانخفاض الكفاءة وسيؤدي اجتماعيا الى استمرار حدة الاستقطاب وزيادة حدة توزيع الدخل ور وضع الخدمات الاجتماعية واستمرار حالة التخلف الفكري ، كما سيؤدي ا استمرار الهجرة الى المدينة وتصاعد البطالة وابقاء المراة معطلة . هذه الخلا تكشف الظواهر التي سيؤدي اليها تطور الانماط الاجتماعية الاقتصادية العربي في المرحلة الراهنة .. لكن كيف يتم الخروج من هذا المازق .. هذا مالم تجـ عليه الندوة ، وهو الامر المتعلق بالعامل الذاتي ، اي ادوات التغير الاجتماعي

٩ ـ النموذج العربي البديل :

هناك قصور في تصوره وهذا هو السبب الاهم في ضياع الفكر العربي البد وضبابيته .. وتناقضاته وتخبوته وافتقاده القدرة على التاثير ، واضاف : ان مز فكر الخمسينات انه قدم بدلا من الواقع الماساوي بالوحدة بدلا من التجز والاشتراكية العادلة بدلا لشريعة الغاب ، والحرية كبديل للاضطهاد .. وق ان التراجعات لاتعطي المفكر العربي المسوغ للتخلي عن صورة المجتمع البديل ، والانسا لاتحرك فقط من قوة الطرد من حالة بائسة يعيشها ، وانما بدرجة اكبر بقوة الجذب ال حالة امثل وافضل يجد فيها تعويضا عما ينقصه في مجتمعه وفي واقعه المادي وتطلعاته الانسانية ، ونتيجة لحالة التردي ، يقول الباحث ، اصبحت الجماهير العربية معزولة تماما عن اتخاذ القرار ، وتعاني الجهل بمجريات الصيرورة ، مما ادى بها الى الاعاقة عن فهم الحقيقة الاجتماعية ، وبالنتيجة الى شلل خطير من خلال العيش في حضارة الصمت .

١٠ ـ الازمة الاقتصادية العربية الراهنة والافاق المحتملـة :

قال : اذا كان النداء السياسي قد فشل في الخمسينات وادى الى انهيار اول وحدة ، واذا كان النداء الاقتصادي قد فشل حتى في وقف الانهيار ، فهل سيكون النداء القادم مزيجا من الاقتصاد والسياسة ؟! . يبدو ان مسوغات الشرذمة قد فقدت قوتها الاعمائية بانتهاء غرور الفورة النفطية ، فالعرب الان سواء في الازمة الاقتصادية .. ومع تطوير بيع النفط عن الدولار على الجميع .. لكن للاسف فالفكر العربي مازال بعيدا عن المرحلة التنبؤية ، لانه لم يتنبأ بما وصلنا اليه ولا لما سنؤول اليه . وقدم الباحث تنبؤا مفاده ان الوضع القائم والقادم سيقود الى احد اتجاهين :

١ ـ اما بروز النزعات الفاشية في الانظمة العربية على طريقة انظمة امريكا اللاتينية .. وهذا محتمل جدا باستمرار التفاوت الطبقي بالوتيرة القائمة نفسها او اسرع .

٢ ـ او قيام تحولات ديمقراطية تحل انفراجات نسبية لظروف حياة الجماهير الشعبية ولعملية التنمية والتقدم الاجتماعي والمشاركة الشعبية . الاول يقود الى مزيد من الشرذمة والتمزق القومي والقطري ، والثاني الى مزيد من التوحيد والتصلب والفعالية قطريا وقوميا .

ـ **هذا البحث المتميز** ، حرضنا ضد صيغ العمل العربي المشترك ، ولكنه في الوقت ذاته حضنا عليها وان تكن ببدائل افضل نظريا .. الا انها في الاتجاه ذاته . كيف يلتقي من له ومن ليس له مصلحة او اصحاب المصالح المتعاكسة في وضع استراتيجية عمل موحد او مشترك ؟! ربما ياتي الجواب انه لا بد من العمل في الاطار الممكن من اجل التخفيف من الخطر الرهيب للتجزئة ، ريثما تتوافر الظروف الافضل .. اذن على هذا الاساس لا بد من النظر في مستويين او ثلاثة مستويات في هذا الاتجاه .. اتجاه التكامل الاقتصادي العربي او اية صيغة للعمل العربي المشترك ، المستوى الاول : ثنائي بين قطرين متحررين تقدميين مثلا ، والثاني : بين اقطار مستقلة تسير في طريق العداء للامبريالية والصهيونية ، والثالث : على صعيد الاطار العربي العام الممثل بالجامعة العربية والهيئات المنبثقة عنها .

مسالة اخرى لم تكترث بها معظم البحوث وهي اننا نعرض وجهة نظرنا ا الحقل ، ولكن ، غالبا دون تعليل او تفسير للشروط الموضوعية التي ساعد هذا الواقع .. الامر الذي يظهر الواقع او التطورات الحاصلة وكانها للتصور الذاتي فقط. وهذا الاغفال يقودنا الى الشطط احيانا، انسياقا مع وبره البحث وحيد الجانب ، كان يخرج مثلا من ندوة التكوين الاقتصادي الاج العربي – صفحة ٢٩ – بان كل انجاز تنموي انما تم لمصلحة البورجوازية العر وان يقول الباحث : ان هذه التعميمات ما زالت خاضعة للنقاش . غير ان ا المسالة باعتقادنا ليست بحاجة الى نقاش .. فمن البديهي جدا القول : بان ما غالبا كان في مصلحة البورجوازية ، ومصلحة الفئات الادنى منها والجماهير ال قاطبة .. فكل تقدم في قوى الانتاج ، كل تطوير للهياكل الاساسية ، كل تطور ال القومي ، لمزيد من حرية الانسان في العمل في التنظيم .. الخ انما هو في م المجتمع ككل ، وليس في مصلحة جزء صغير منه .

الرفيق د. احمد نسيم برقاوي في بحثه « الوحدة العر والعقلية البورجوازية الصغيرة » قال :

ان نشاة الخطاب العربي الوحدوي تعود الى بداية تفكير رواد عصر النهض بالانفصال عن تركيا. ولكن « الحياة كذبت التوقعات الوحدوية المخلصة » فقد وضعت الوح « كهدف مقدس » ، وطرحت اجابات كثيرة لم تكن مقنعة عن سؤالين ، لماذا لم تح الوحدة وما السبيل الى تحقيقها ؟ ! وفي اطار الجواب على ما يبدو .. قال « الوحدة مسالة عملية قبل كل شيء » وليست مستقلة ، اذ انها يجب ان تؤخذ ف علاقاتها الاخرى بشكل منهجي ، وليس بشكل ميكانيكي، فهناك التخلف والتبعية الى جانب التجزئة ..

وقال : ان بعض المفكرين يرد العجز الحاصل في الساحة العربية لسبب فقدا الوحدة ، بمعنى ان وجودها يزيل الالم .. لكن غياب الوحدة مرتبط باستفحا الازمات الاخرى ، فاذا كانت التبعية تفسر شكل العلاقة مع الاستعمار فهي بدوره عامل نابذ للوحدة .. اي ان الفهم الوحدوي المجرد لا يقود ميكانيكيا الى ازال التبعية . ومن هنا فان مفهوم الوحدة العربية لا يكتسب مضمونه الايجابي التحرر

الا اذا انطوى على معاداة الامبريالية والتبعية بشكل عام . ثم ان التبعية لا تفسر بالتجزئة ، ذلك ان تخلف القوى المنتجة وسيادة العلاقات الراسمالية حتى في ظل تخلص بعض الافكار من التبعية لاتفسره التجزئة ، بقدر ماتفسره الطبيعة الطبقية للبورجوازية ، الامر الذي يعني ان الوحدة لاتستطيع ان تدفع الى تقدم القوى المنتجة وتغير من علاقات الانتاج، الا اذا غدت هدفا للفئات والطبقات المناهضة للبورجوازية. وفي السياق ذاته يقول : اذن ليس غياب الوحدة هو المسؤول الوحيد عن ضعف مواجهة الامبريالية والصهيونية ، فانعدام المواجهة هو شكل معبر عن العلاقة القائمة مع الامبريالية ، بل ان اعداء الوحدة هم اعداء المواجهة ، اذ لامواجهة بمعزل عن المصالح الطبقية الحقيقية الباعثة للتحرر .

اذن مفهوم الوحدة لا يكتسب قيمته الا بمضمونه ، بتحديده في اطار من الممارسة ، بوصفها المعيار الوحيد للتعبير عن الحقيقة. وبهذا فمن البديهي ألا نصدق الاقوال وحدها لان الجميع المتنافر ، من له مصلحة ومن ليس له مصلحة ، يقول بالوحدة. واذا كانت الوحدة – يقول الباحث – الشعار وهدفا مقدسا للجماهير العربية فان الفئات الرجعية والمتخلفة ، والانظمة البورجوازية التابعة تجد من مصلحتها تزييف وعي الجماهير على طريق تحسين صورتها القومية من مختلف الاساليب، وليست الوحدة الا اكثر الاساليب صلاحا لذلك « . وترفع هذا الشعار لاظهار الغيرة من جهة ولتسويغ اخفاقها من جهة ثانية ، ذلك ان غياب الوحدة يكون هو المسؤول .. وعلى هذا الاساس توضع ايديولوجيا الانتظار ؟

يستنتج من ذلك ان الوحدة ليست شعارا تقدميا دائما ، ولا يكتسب هذا المفهوم تقدميته الا « اذا غدا جزءا لا يتجزأ من هموم الجماهير المسحوقة » ، لذا فالحديث عن الوحدة بين انظمة متاخرة متناقضة مسالة طوباوية .

واذا كانت الرجعيات – يرى الباحث – قد حولت الوحدة الى ايديولوجيات زائفة فان بعض التقدميين قد حولها الى صنم مقدس لا يجوز الاقتراب منه ، بحيث غدت الوحدة اتوبيا تنتظر الزمن لتحقيق ذاتها بذاتها. فالرجعيات، من اقطاع وبورجوازية اعلنت عداءها للوحدة منذ صياغتها لميثاق الجامعة العربية عام ١٩٤٥ ولم تنجز هذه والذي يرى ان الفكرة تصنع التاريخ ، وان الجميع مع الوحدة باستثناء الاستعمار.

ويقول الباحث : ان ضعف الطبقة العاملة جاء نتيجة لضعف نقيضها ، اي البورجوازية ، التي خلقت نقيضا رخوا من الفئات الوسطى التي بدات بالتوسع منذ الاستقلال .. ولما كان التطور الراسمالي العربي يجري في ظل تاثير حاسم وتدخل

كبير من قبل النظام الراسمالي العالمي،فان علاقة في متكافئة تنجت بين البورجواز المحلية وبورجوازية المركز، وبسبب ذلك فقدت البورجوازية العربية تقدميتها، و في ظل ضعف الطبقتين الاساسيتين في المجتمعات الراسمالية العربية ، شكلت الفئ الوسطى هذه قوة اجتماعية تتناقض مصالحها مع البورجوازية من جهة ، ولا تت مصالحها الخاصة مع مصالح الطبقة العاملة من جهة اخرى .

وتطرق الباحث الى طبيعة البورجوازية الصغيرة ، والحرفيين والتجار الصغار والفلاحين المتوسطين والصغار ، فقال انها غير متجانسة ، فهي تشترك مع الراسما في حيازاتها للملكية الخاصة ومع الطبقة العاملة في العيش من عملها الخاص . ام المثقفون فهم في الواقع ـ كما يرى ـ موضوعا للصيد من قبل البورجوازية لاستخدام في الدفاع عن مصالحها الطبقية ، ومن هنا فلا غرابة ان نجد انهم يشكلون القو الرئيسية للاحزاب رجعية او تقدمية .

وقال الباحث : ان الفئات الوسطى هذه لعبت في الخمسينات وحتى السبعينات مكانة مهمة في النضال ضد الامبريالية والبورجوازية . . وهي التي صاغت مفهو الوحدة واعطته مضمونا شعبيا تقدميا ، وطرحت الاشتراكية واستطاعت استيعاب الجزء الاكبر من الفلاحين والعمال حتى استلام السلطة . . وطالب بالتمييز بين من استلم السلطة ، فابتعد عن الطبقة العاملة،وبين من لم يستلمها من هؤلاء، فتقرب منها،كم طالب بتقويم هذه الفئات قبل وبعد استلام السلطة لابراز مستوى وعيها السياسي وطموحها الطبقي ومدى تطابق تطلعاتها مع ممارساتها .

وقد تحولت بعض اجزاء هذه الفئات ـ قال ـ التي لا تشكل طبقة بحد ذاتها الى طبقة بورجوازية طفيلية،والى الدفاع عن موقع مناقض للجماهير ولتاريخها السياسي ذاته ، ومن هنا يبرز ميلها للتخلي عن الشعبية مع الاحتفاظ بالشكل الايديولوجي الذي اوصلها الى السلطة .. ومن هنا ايضا تكبر الهوة بين خطابها الايديولوجي وممارساتها العملية .

اما رد فعل تلك الفئات التي لم تحقق شيئا فيدفعها الى الموقف العدمي من تاريخها فتتحول الى اليمين او اليسار المتطرف . . ومن هنا يصح القول:ان عقلية البورجوازية الصغيرة هي اهم ما يميز الفئات الوسطى . . وحتى مع رفعها لشعار الوحدة برزت هذه العقلية ، بدءا من النخبوية واحتقار الشعب،مرورا بالتحليق فوق التناقضات الواقعية ، وانتهاء باظهار المثالية الفجة في فهم الواقع . .

وقال : ان التاسيس النظري المعاصر لفكرة الوحدة العربية مر بمراحل ثلاث بعد الحرب العالمية الثانية : الاولى من الاربعينات حتى بداية الستينات ثم مرحلة

الستينات ومرحلة السبعينات.وقد نظر للمرحلة الاولى الجزء المتنور من الوسط المعادية بالاساس للاستعمار والاقطاع والتبعية والتجزئة والاقليمية والشيوعية والاسلامية . وابرز هؤلاء : ان الوحدة ليست الا تحققا لماهية الامة ، ومن هذا التحديد ظهرت التالية..حيث اعلن أن الرابطة القومية هي بالاساس روحية ، وعليه «فالوحدة لن تكون اكثر من بعث روحي في المجتمع العربي ستكون نتيجة انقلابا روحيا» . واذا اردنا تناول هذه المنطلقات في اطار فلسفة التاريخ فان التاريخ هنا ليس الا تفتحا لامكانات ينطوي عليها مسبقا.ولانها فكرة مطلقة روحية فانها خالدة،غير ان خلودها ليس الا جزءا من ماهيتها .. لكنها تخبو وما علينا الا ايقاظها ، ويقوم الباحث هنا الخطاب الوحدوي على انه « متناقض داخليا » ، لانه عول على روح القومية من جهة ، وتحدث عن المصالح الطبقية القابعة خلف اعدائها من جهة أخرى .

.. ثم ان العداء للشيوعية العربية لم يحل دون التاكيد ان الاشتراكية جزء لا يتجزأ من جوهر الامة العربية .. لكن لم ينظر الى الاشتراكية كنظام اجتماعي اقتصادي هو ثمرة قانون اجتماعي لا يجد شروط تحققه الا في صراع طبقي حاد يقوم على انتصار الفلاحين والقضاء على جميع اشكال الملكية الخاصة ، بل نظر الى الملكية الشخصية نظرة مقدسة مع تاكيد ضرورة عدم تعارضها مع مصالح الاخرين . وعلى هذا الاساس قامت وحدة ١٩٥٨ . غير ان شراسة هذه القوى ضد الاستعمار قابلتها ميوعة ضد خصوم الوحدة الداخليين،انطلاقا من مفهوم السلام الطبقي..واهمال عملية تسييس الشعب .. بل انها مارست تجهيله ، اذ حرمته من عملية خلق وعيه السياسي المتقدم بحرمانه من حقه في التنظيم السياسي المتقدم . ومن هنا سهل الانفصال .. ولكن لماذا استطاعت القوة المناهضة للوحدة اسقاطها ، اما كان بامكان قوى الثامن من اذار مواجهة الانفصاليين قبل الانفصال ؟ ويجيب : بان التاميم ، وتناقض قوى الوحدة ذاتها واخطارها ، جعلها تمتعض من المصير الذي الت اليه الوحدة دون المناهضة بالانفصال . على ان فشل الوحدة ايقظ الاحساس بضرورتها مجددا ، ولكن وفق نمط جديد،وهذا ما ولد ضرورة اعادة النظر في الفكر الوحدوي ذاته.واذ ذلك بدات المرحلة الثانية المجسدة في الميثاق والمنطلقات النظرية ، المعبرة عن درجة الواقعية في النظر الى مسالة الوحدة العربية ومضمونها الاجتماعي التحرري . هذه العملية الذاتية فرضتها تجربة الوحدة ذاتها ، خاصة ما جرى من نقد للنزعة التجريبية في العمل السياسي . وظهرت في المنطلقات اهمية الصراع الطبقي كمحتوى حقيقي ومنطلق اساسي نضالي للقومية العربية .. لكن هذا التقدم النظري قابله عجز عملي في الستينات . ولم يحل تقديس الوحدة دون تقديس السلطة ، وعوضا عن اظهار التحالف الممكن لتحقيق الوحدة برزت التناقضات،فنسفت الوحدة القدرة على انجازها، وقامت (١٨) تشرين في العراق وفشل ١٨ تموز في سورية ، وتفجر الصراع البعثي

الناصري ، وراحت القومية العربية تتشرذم حتى على مستوى القطر الواحد .. اضعف هذا التفتت « الاشكال الاخرى للتعاون والتضامن ، وما ان جاء الخا حزيران حتى كانت القومية قد حصدت ما كانت قد زرعته بايديها » .

وهكذا جاءت المرحلة الثالثة ، فقد كانت حرب حزيران نقطة تحول مهمة في تـ المشرق العربي ، حيث اصيب الجميع بالدوار .. وطرح السؤال : من الذي تـ ولماذا ؟ واغلب الاسئلة التي قدمها المهزومون تقول : ان « اسرائيل » فشلت في تحقيق اهدافها ، اما الرجعية الشامتة فقالت : ان التقـ اليساريين هم الذين انهزموا من اجل ان تمهد لدورها الجديد . وقال الباحث : لكن الاجوبة فمن الثابت ان الشعب هو الذي لم ينهزم كما ولم تنهزم الوحدة .. ذلك التاريخ شرعت الفئات المتوسطة بالتلاؤم مع النفطيات متخلية عن رادیكاليتها ان قضى عبد الناصر نحبه حتى كشفت البورجوازية الصغيرة عن اهدافها المـ حين انقضت على ظاهرة الناصرية معلنة مرحلة جديدة من الركود في تاريخ مصـ المعاصر » .

ثم تحدث عن مرحلة من العجز ، جاء فيها الاتحاد الثلاثي وحرب تشرين .. وظهـ الثورة الفلسطينية ، بوصفها الظاهرة الصحية الوحيدة والاسلوب الناجع .. ولـ صيرورة هذه الثورة ومآزقها ابرزت جوانب من اساليب الرجعية العربية وشراسـ في مقاومة وتزييف اية ظاهرة ثورية ، ولا سيما بعد ان سادت الحقبة النفطية العربـ واستغلت الرجعية حرب تشرين وهيمنت ، وغدا الدولار قوة ضغط مهمة على الفقرا العرب وعاملا من عوامل تزييف وعي الجماهير السياسي ، بما في ذلك الوعي الوحدوي. وهكذا تتحول اوساط فقيرة الى بورجوازية تابعة ويتراخى العمل السياسي التقدمـ وتشوه النضال الطبقي وتكرس اخلاقيات المجتمع الاشتراكي، وتخبو افكار الثورة.. ويصبح نموذج الدولة النفطية هو الامثل .. وتتحول لاءات الخرطوم الى نعم .. وهنا وكان الخطاب الوحدوي قد كف عن الابداع وتظهر عقلية البورجوازية الصغيرة في صورة المثقف الاكاديمي .

ويستنتج الباحث ان ازمة الوحدة ـ الآن ـ لاتبدو كأزمة فئات اجتماعية وطبقات لا يمكن ان تكون بالاصل مؤهلة لانجاز هذه العملية الثورية ، بل كأزمة فكر وحدوي لم يستطع ان يكتشف القوانين التي تؤدي الى الوحدة . ولم يقدم بعد نظرية وحدوية شاملة . الآن المطلوب تأسيس نظري للوحدة لا ينطلق من اسقاط قوانين عامة على الواقع بل اكتشاف الواقع ورفعه الى درجة المعرفة العقلية ، مستندا الى معرفة تثبت الممارسة صدق منطلقاتها . وقال : ان بعضهم يأخذ القوانين العامة لتبرير ظاهرة جزئية ، واحيانا يخترع قوانين ليدرج الخاص في قانون شامل

يبتدع .. وبهذا تغدو الوحدة ظاهرة حتمية كجزء من حتمية تاريخية شاملة .. كما تغدو شروط الوحدة معطاة سلفا في التاريخ ليس علينا الا ان نكتشفها فيذهب الجهد للبحث عن بسمارك جديد لانجاز هذه الحتمية .. وهكذا لا تظهر الوحدة بوصفها ثمرة عمل جماهير مسيسة واعية لاهدافها الطبقية ، في نضال منظم ضد الامبريالية والبورجوازية .. الخ بل كثمرة لظهور المخلص القومي البسماركي .. ليس كتنظيمات سياسية تقوم بدور الطليعة وتعكس هموم المسحوقين في الامة وتنقل عفوية الجماهير الى شخصية سياسية تحقق عبر وحدتها وحدة امتها . ويقول : العجز عن رؤية هذا ليس الا ثمرة من ثمرات البورجوازية الصغيرة التي لا ترى التاريخ الا تاريخ النخب ، وليس تاريخ البشر الذين يصنعون التاريخ في شروط لم يخترعوها. وفي الآونة الاخيرة انتقلت هذه العقلية من الحماس منقطع النظير للوحدة الى التشاؤم بعدم جدوى النضال من اجلها .

ثم يقول : صحيح ان مصطلحات مثل « روح الامة » و « والفكرة المطلقة » و « الحب » قد قل استخدامها في الخطاب الوحدوي العربي ، ولكن اخذت تظهر مفاهيم اخرى ليست اقل ميتافيزيقية ، مثل مفاهيم الذات العربية ، والذات القومية والعقل العربي والشخصية العربية ، والوظيفة الحضارية .. وهذه مفاهيم تقود الى النظر الى الامة كجوهر قائم بذاته، خال من اي تناقض اجتماعي ، والوحدة العربية ليست الا تعبيرا عن وحدة الجوهر ذاته .

وقال : اذا كان الفكر القومي ساهم مساهمة جدية في رفع الوحدة الى مسألة حيوية من مسائل النضال السياسي ، واذا كانت الفئات الوسطى غير مؤهلة لانجاز الوحدة ، فان الحركة الشيوعية العربية قد اظهرت تخلفا مريعا فيما يتعلق بالمسألة القومية . اذ حولت الوحدة الى مناظرة « فجة » بين وجود او عدم وجود الوحدة العربية ، والاعلان ان شعار الوحدة هو شعار بورجوازي لا يليق بحركة ثورية ان تجعله احد شعاراتها الرئيسية . وقال : ان رفض وجود امة عربية استنادا الى تعريف ستالين لمفهوم الامة لايختلف في شيء عن اثبات وجود امة عربية بالاستناد الى تعريف نيتشه للامة . المفاهيم لا وجود لها على ارض الواقع ، فلا وجود لتشكلة اجتماعية بالمعنى المجرد .. بل اننا امام تشكيلات اجتماعية واقعية عينية هي اكثر ثراء من العام وتنطوي عليه . ان قياس الواقع على نماذج نظرية وان كانت مشتقة من الواقع لا تمت الى الديالكتيك بصلة، لاننا في هذه الحالة نهمل العلاقة القائمة بين المجرد العيني ، العلاقة بوصفها الاساس الاهم للتفكير الديالكتيكي . واضاف : ان المؤتمر الرابع للحزب الشيوعي السوري اظهر فهما متقدما لمسألة الوحدة العربية لكنه ظل مقتربا من الحديث عن امة عربية ، حين اعتقد ان فرضته عليه الحياة ، بينما يضع الحزب الشيوعي اللبناني الامة العربية لم تستكمل جميع مقوماتها بعد .

الوحدة في طليعة مهام الطبقة العاملة ، ويقول : ان الطموحات الواسعة للجماهير العربية الى الوحدة ما هي الا تعبير عن الواقع الموضوعي لتطور العالـــم العربي وللروابط التاريخية بين أجزائه .

وينتهي الى القول : غير ان الانتقال من امكانية الوحدة الى واقعها المشخص لا يمكن الا بوحدة الاداة الثورية ، المتمثلة بقوى اليسار العربي،المعبرة فعلا عن طموح الجماهير المتحررة فعلا من عقليتها البورجوازية الصغيرة .

ويحذر : من أن استمرار التجزئة الى زمن طويل وتأكيد سلطة البورجوازيـــة العربية الانفصالية يوما بعد يوم في ظل ضعف حركة التحرر العربية ، واذا تحول تفاوت التطور الاقتصادي الى درجة كبيرة ، واذا ما خلقت ثقافات مختلفة ونشأت اهـداف قطريـة خاصـة فان وحدة اللغـة فقط لن تسمح لنا بالتفاؤل بمستقبل الوحدة العربية .

ومن هنا — يقول — فعلى القوى التقدمية ان تدفع بالتناقضات القائمة الى حدها الاقصى بين قطبي الصراع الاساسيين : الجماهير الحية والطبقـــات البورجوازية المهترئة .. وهذا الدفع من شأنه ان يجذر الفرز الطبقي والسياسي والوطني ويجعل الوحدة هدفا قريب المنال ، لانها ستكون ثمرة نضال الشعب وممارسة حقه في تقرير مصيره .

— لاشك ان بحث الرفيق د. درقاوي كان من بين البحوث المتميزة في الندوة

فقد استطاع أن يعرض تطور الفكر الوحدوي العربي وافكاره المتعلقة بدور البورجوازية الصغيرة ، بشكل منطقي متماسك ، ولكن هذا لم يمنع من تعرض البحث لافكار واجتهادات قابلة للجدل .

يقول الباحث : نتيجة أن التطور الراسمالي العربي يجري في ظل تأثير وتـدخل النظام الراسمالي العالمي ، فان علاقة غير متكافئة نتجت بين البورجوازية المحلية وبورجوازية المركز..وبسبب ذلك فقدت البورجوازية العربية تقدميتها ، وهذه الفكرة يمكن مناقشتها من خلال ما يؤكده الباحث ذاته في تحذيره من أن لا يرد كل شيء الى غياب الوحدة والتبعية . والحق ان هناك اسبابا كثيرة افقدت البورجوازية العـربية تقدميتها ، منها ما يتعلق بطبيعتها وطبيعة تحالفاتها الطبقية وخلفيتها التاريخية ، وطبيعة التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية التي افرزتها ، وتواجد الانماط المتعددة للانتاج بسبب التشوه الحاصل في المسيرة الطبيعية للمجتمع .. الخ .

وفي تقويم الباحث للعجز « العملي » في الستينات ، لم يتطرق الى دور العامـل الموضوعي في هذا العجز ، كما انه غاب عن البحث بكامله تقريبا ، الامر الذي ينطوي

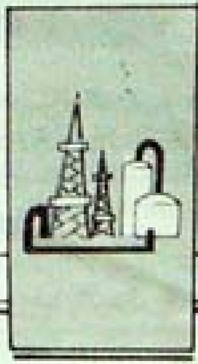
على الكثير من التجني على دور القوى او بعض القوى القومية التقدمية العربية .. والامر الذي ساق الباحث الى التغاضي عن حقائق ثابتة في مثل قوله ، في معرض حديثه عن حرب حزيران ، « حيث اعتقد المهزومون أن — اسرائيل — قد فشلت في تحقيـــق اهدافها » ، فمن الثابت ، وبالوثائق ، أن الهدف الامبريالي الرجعي من الحرب كان اسقاط البعث وعبد الناصر كقطبين اساسيين في تصاعد المد الجماهيري الوحـــدوي التقدمي .. اما كيف استطاعت الرجعية أن تسيطر بعد ذلك بمصادرة القرار المصري على الاقل ، فهو ولا شك من النتائج غير المباشرة للحرب .. الا انه يبقى صحيحـــا القول : ان « اسرائيل » والامبريالية والرجعية لم تحقق اهدافها كاملة في حـــرب حزيران ، بدليل أن القوى التي كان مطلوبا رأسها ، عادت فحققت انتصارات في تشرين ١٩٧٣ ، وفي احباط اهداف الاجتياح الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ . أن من يعود الى التقرير السياسي الذي اقر في المؤتمر القومي التاسع لحزبنا يجد تقويما موضوعيا لحرب حزيران ويجد بالاضافة الى ما طرح في المنطلقات اجوبة مقنعـــة كثيرة — وليس كما يرى الباحث — على سؤالين : لماذا لم تتحقق الوحدة وما السبيل الى تحقيقها .. الا أن مسألة الوحدة هي « مسألة عملية » كما يرى الباحث وقبـل كل شيء فالعلة اذن ليست كلها في التنظير ، وانما في الممارسة ، فقد توصل الفكـر الوحدوي العربي الى الربط الجدلي بين الفهم الطبقي والفهم الوحدوي ، والى اعتبار فكر الطبقة العاملة بشكل او باخر ، والى استيعاب شروط العامل الذاتي الــدافـع لاستيعاب العامل الموضوعي وخلق مكوناته ومستلزماته . ومنها خلق الطبقة العاملة ذاتها غير الموجودة اصلا .. غير ان الممارسة قادت الى الفصل ، الذي تعمق شيئا فشيئا بين ما نعتقده وبين ما نطبقه عمليا ، الى الشرذمة وبالتالي القصور الفكري ذاته .. حيث اصبحنا نتعلق بالممكن دون التفكير بالاحاطة بالتالي او التكامل .

فالباحث ذاته يقول — على سبيل المثال — أن مفهوم الوحدة لا يكتسب مضمونه الايجابي الا اذا انطوى على معاداة الامبريالية والتبعية بشكل عام . ونحن نقول اكثر من ذلك : ان مفهوم الوحدة لا يكتسب مضمونه الايجابي الفعال الا اذا انطوى على معاداة الرسمالية ، ذلك أن التحولات الراسمالية لا يمكن أن تتم الا في اطار النظـام الراسمالي العالمي ، الذي افرز «اسرائيل» وحافظ على التجزئة العربية حفاظه على ذاته .. واذا دخلنا في تفصيلات هذا المفهوم نجد ان اي تحول راسمالي عربي يساهم بهذا الشكل او ذاك بدعم « اسرائيل » وتقويتها .

من جانب اخر فان عقلية البورجوازية الصغيرة ليست هي المسؤولة عن كل شيء، فالبورجوازية الصغيرة تملك كما يعلم الباحث طبيعتين : طبيعة محافظة وطبيعـــة ثورية ، وتنتصر فيها احدى الطبيعتين بحسب الشروط الموضوعية القائمة والتي منها

طبيعة الطبقة المسيطرة وفكرها . ثم يقول الباحث « وما ان قضى عبد الناصر نحبه حتى كشفت البورجوازية الصغيرة عن انيابها المستترة حين انقضت على قيم الناصرية معلنة مرحلة جديدة من الركود في تاريخ مصر المعاصر » . والحق ان البورجوازية الصغيرة ليست هي المسؤولة عن هذا كليا ، بل الشروط الجديدة التي ولدت البورجوازية الطفيلية ، بحيث اصبحت طبقة قائمة بذاتها فرض عليها تطورها الانقضاض على « ظاهرة الناصرية » .

واخيرا لا بد من القول : ان تقويم المراحل يجب يكون في اطار ظرفها التاريخي ، فالفكر الوحدوي القومي ، الذي كان معاديا للاستعمار والاحلاف والتجزئة والصهيونية والرجعية في الاربعينات والخمسينات بصرف النظر ، عن الطبيعة الطبقية لحامليه وطرحه المثالي للوحدة ، كان تقدميا .. ولكنه لم يعد كذلك في مرحلة لاحقة عندما وقف موقفا معاديا من الصراع الطبقي والنهج العلمي والطريق الاشتراكي للوحدة العربية .. وعندما انغلق على نفسه وكف عن النضال او انكفأ الى الوراء ، لان الواقع طرح مسائل جديدة اكبر من قدرته الايديولوجية والتنظيمية ووضعه الطبقي .. الخ واذا لم يكن ذلك كذلك – وليس الكلام هنا موجها ضد الباحث على الاطلاق – نكون كمن يحكم على ثورة القرامطة بانها فشلت لانها لم تتبن الماركسية .



دراسات اقتصادية

أسلوب حل المسألة الزراعية في القطر العربي السوري

الرفيق ناصر عبيد الناصر

ركزت السياسة الاقتصادية وفي اطار السياسة الزراعية في القطر العربي السوري على تحقيق التوازن بين مقتضيات التنمية وبين متطلبات الدفاع وقد قطعنا مرحلة متقدمة في هذا المجال ، بفضل التفاف الجماهير حول القيادة السياسية بجبهتها الوطنية التقدمية بقيادة الرفيق المناضل حافظ الاسد .

ونتيجة للسياسة الاقتصادية الناجحة اكتسب قطرنا قوة اقتصادية وسياسية يحسب لها حساب في مسائل الحرب والسلم في المنطقة ، فاصبحت سورية العربية قلعة منيعة على اعدائها ، فاعلة لا منفعلة في الاحداث السياسية العربية منها والدولية .

لقد اكتسبت التنمية الزراعية في عصرنا الراهن اهمية خاصة نظرا للدور الذي تلعبه في توفير المنتجات الغذائية لسكان العالم . ولا ادل على اهمية قطاع الزراعة في ان اكثر من نصف القوى العاملة في مجموعة البلدان النامية تعمل في هذا المجال .

وتعتبر تنمية وتطوير الزراعة بشقيها النباتي والحيواني الوسيلة الاساسية في حل مشكلة الغذاء ، تلك المشكلة التي اخذت تهدد مستقبل البشرية وتعرض استمراريتها للخطر . والاكثر من هذا وذاك اخذت الزراعة تؤثر في موازين القوى السياسية حيث استغلت الامبريالية «فجوة الغذاء في العالم» كأداة لفرض الهيمنة والتبعية الاقتصادية على البلدان المتحررة حديثا .

* السياسة الزراعية من وجهة نظر حزب البعث العربي الاشتراكي :

استولت المسالة الزراعية على اهتمام حزب البعث العربي الاشتراكي الذي خصص لها في مقررات وتوصيات مؤتمراته مكانا مهما نظرا للدور الذي يحتله القطاع الزراعي في الاقتصاد الوطني باعتباره يشكل موردا لزيادة الناتج المحلي ، بالاضافة الى كونه يشكل مصدرا لتأمين المطلب المحلي بالمواد الغذائية وتحقيق فائض منها للتصدير .

لقد كان من اولى مهام ثورة البعث عام ١٩٦٣ حل المسالة الزراعية والتي تعتبر بحق من القضايا الملحة والمعقدة ليس على مستوى قطرنا فحسب بل على صعيد الوطن العربي .

وحزبنا حين تصدى لحل المسالة الزراعية انطلق من اعتبار اساسي يتمثل بتحرير الجماهير الفلاحية الكادحة من ربقة الاستغلال من جانب الاقطاعيين والملاك العقاريين . فقد عانى ريف القطر العربي السوري من الصراع الاجتماعي الحاد بين الاقطاعيين من جهة وجماهير الفلاحين من جهة اخرى . واشتدت اشكال هذا الصراع عندما بدا قطرنا يتطلع نحو استكمال الاستقلال السياسي بالاستقلال الاقتصادي والاطاحة بالتبعية الاقتصادية لسوق راس المال .

لقد كان الاقطاع والملاك العقاريون يمتلكون مساحات واسعة من الاراضي. ففي محافظة الحسكة كان هناك ٥٤ ملاكا يسيطرون على نحو ٨٠٪ من الاراضي المستثمرة زراعيا . وفي محافظتي حمص وحماة كان هناك اقطاعيون يملك الواحد منهم ٥٠ الى ٦٠ قرية. ولم يكتفوا بسرقة خيرات جهود الفلاحين فقط وانما كانوا يعاملونهم معاملة غير انسانية قوامها الضرب والاحتقار والاعتداء على اعراضهم وبتهجيرهم عن مساكنهم .

لقد تصدى الحزب لهذا الواقع الذي عانت منه جماهير الفلاحين ووجد بان حل المسالة الزراعية على اسس اشتراكية يفترض باديء

ذي بدء اعادة النظر في العلاقة الجائرة القائمة بين الارض والانسان من خلال اصدار قوانين وتشريعات ترفع الاستغلال عن كاهل الفلاح من جهة . وتكفل امكان زيادة الانتاج الزراعي كما ونوعا من جهة اخرى .

ومن اجل ان تحقق الزراعة الاهداف المعلقة عليها في توفير الامن الغذائي ، عمل الحزب على تحقيق « ثورة مركبة » على الصعيدين الفكري والتقني ، فعلى الصعيد الفكري حارب الافكار الرجعية البالية والنعرات العشائرية والطائفية والدينية وكرس التربية القومية الاشتراكية ، وسلح الفلاحين بالفكر الثوري وبروح التعاون وحب العمل والاستمتاع به .

اما على الصعيد التقني فقد سعى الحزب ضمن الامكانات المتاحة للاستفادة من منجزات الثورة العلمية التكنولوجية لتوظيفها في تحديث وعصرنة القطاع الزراعي من خلال الاستفادة من معطيات البحث العلمي في اشادة مشاريع ري واستصلاح الاراضي واصطفاء البذور والسلالات الحيوانية الجيدة بالاضافة الى مكننة النشاط الزراعي .

لقد رصد الحزب في مؤتمراته الادوات والاساليب اللازمة لتحقيق الثورة الزراعية ، والتي يمكن تلمس جوانبها النظرية من خلال المنهاج المرحلي لثورة الثامن من آذار ، وتتجلى فيما يلي :

١ ـ القضاء على الملكيات الكبيرة للارض ، وتصفية الاقطاع واعادة توزيع الاراضي المستولى عليها ، واراضي املاك الدولة والاوقاف على الفلاحين الفقراء والعمال الزراعيين وتثبيتهم في الارض .

٢ ـ تكوين قطاع زراعي اشتراكي يشمل اراضي الاستيلاء واملاك الدولة واراضي التعاونيات الزراعية (الراسمالية التكوين) الراغبة في العمل ضمن القطاع الزراعي الاشتراكي .

٣ ـ تطوير اساليب الانتاج باتجاه اسلوب الانتاج الكبير والاستثمار الزراعي التعاوني ، وتصفية نظام الاستثمار الفردي والراسمالي بالتوزيع لصلحة التعاونيات والمزارع الجماعية ومزارع الدولة ، مع مراعاة توافر الاجهزة الفنية والادارية والآلات الزراعية للوصول الى احداث ثورة في اساليب الانتاج واحلال العلاقات الاشتراكية مكان العلاقات الراسمالية .

٤ ـ تطوير الانتاج الزراعي وزيادته كما ونوعا من اجل توفير المواد الاولية للصناعة ، وراس المال اللازم لعملية التنمية ، وضمان مستوى معاشي لائق للفلاحين . وذلك بالعمل

على توفير العناصر الاساسية للانتاج وتوفير التمويل الفردي وتسهيل عملياته وتبسيط اجراءاته لصالح التعاونيات ومزارع الدولة ، وتأمين الآلات الزراعية والاسمدة وتثبيت الاسعار ، ووضع خطة زراعية مستوعبة لكل هذه المعطيات .

٥ ـ القضاء على التخلف الفكري لدى الفلاحين وتوفير كل الامكانات اللازمة لمكافحة الامية ولصق الفلاحين بفكر الحزب .

٦ ـ زيادة وعي واهلية الاجهزة الادارية والفنية العاملة في القطاع الزراعي ، وذلك بتأكيد تنظيم الفلاحين نقابيا وتعاونيا ، واشراكهم في عمليات الانتاج الزراعي ، وتهيئة الكوادر الفنية الزراعية والاشتراكية على طريق التدريب والتأهيل والتعليم ، حيث يشمل الفلاحين والاجهزة القائمة حاليا لتكون قادرة على القيام بواجبها .

وهكذا بتلك التوجيهات الفكرية يكون حزب البعث العربي الاشتراكي ، قد احاط بسائر متطلبات التحويل الاشتراكي في الريف . مما يؤكد دراية وقدرة الحزب على رسم سياسة زراعية واضحة الاطر والمعالم ، تلبي تطلعات وطموحات الجماهير الفلاحية ، وتمكن من بلوغ التنمية الزراعية المنشودة عبر التطبيق الثوري لقانون الاصلاح الزراعي ، والاخذ بالحركة التعاونية الزراعية .

❋ قانون الاصلاح الزراعي وتطبيقاته في القطر العربي السوري :

اصدر الحزب في حزيران عام ١٩٦٣ المرسوم التشريعي رقم ٨٨ ، وقررت قيادة الثورة بمقتضاه اعادة العمل بقانون الاصلاح الزراعي رقم ١٦١ الصادر في عهد الوحدة المصرية ـ السورية عام ١٩٥٨ والغاء سائر التعديلات التي طرأت عليه ابان حكم الانفصال الاسود في الفترة الواقعة ما بين ١٩٦١ ـ ١٩٦٣ ـ كما عالج هذا المرسوم الثغرات التي عانى منها قانون الاصلاح الزراعي السابق ذكره والمتمثلة:

ـ عدم مراعاة الخصائص المناخية والجغرافية عند توزيع الاراضي المستولى عليها

ـ لم يميز القانون بين من يملك الارض ويعيش على انتاجها وبين من يعيش على مصادر اخرى .

ـ اعطى القانون الحق للمالك في ان يختار بنفسه قطعة الارض التي يرغبها . وهذا يعني انه اختار اخصب واجود المواقع من ارضه .

ـ عمل القانون على تجزئة الاراضي المستولى عليها الى استثمارية فلاحية صغيرة دون ان يراعي متطلبات الاستثمار والانتاجية التي تستدعي تجميع الحيازات الزراعية في وحدات انتاجية كبيرة .

وبغرض تلافي هذه الثغرات التي اعتمدت تطبيق قانون الاصلاح الزراعي اتخذت التوصيات والتوجيهات من جانب القيادة السياسية بضرورة التطبيق الاشتراكي والثوري للاصلاح الزراعي من خلال اشراك الفلاح عبر تنظيمه النقابي في عمليات الاستيلاء والتوزيع .

وقد تم تخفيض سقف الملكية الزراعية مع مراعاة التفاوت الحاصل في القيمة الاقتصادية لكل انواع الاراضي .وبهذا اضحى سقف الملكية يتراوح في الاراضي المروية والمشجرة ما بين ١٥ ـ ٥٥ هكتارا وفي الاراضي البعلية ما بين ٨٠ ـ ١٢٠ هكتارا تبعا لمعدلات سقوط الامطار .

ثم خفض سقف الملكية مجددا بموجب المرسوم رقم ٣١ لعام ١٩٨٠ فقد تم تخفيض سقف الاراضي المروية بمقدار عشر هكتارات باستثناء غوطة دمشق والساحل السوري والبطيحة . كما خفض سقف الملكية في الاراضي البعلية ما بين ٢٥ ـ ١٠٠ هكتار حسب معدلات سقوط الامطار .

لقد لاقى صدور هذا المرسوم ارتياحا عاما من جانب الفلاحين لانه جاء تلبية لضرورات موضوعية تساهم في تصفية بقايا الاقطاع وبذلك يكون قانون الاصلاح الزراعي قد شمل نسبة ٣٣٪ من الاراضي الزراعية . مما مهد لقيام قطاع زراعي كبير وقوي نسبيا . كما ادى الى تعميق التحولات الاشتراكية في ريف القطر فضلا عن انه مكن من ادخال التخطيط والبرمجة العلمية في الاقتصاد الزراعي ، ووفر المناخ لاقامة منشآت زراعية حيوية ـ كالمؤسسات العامة ـ للابقار ـ الدواجن ـ الاسماك ـ الاعلاف وغيرها ... الخ .

وهكذا فان الاصلاح الزراعي فتح آفاقا واسعة امام ثورة زراعية ومهد لانطلاقة اقتصادية شاملة يشهدها قطرنا في الوقت الحالي ، وساهم في تطوير فروع صناعة مرتبطة بالمواد الاولية الزراعية .

❋ نشأة وتطور الحركة التعاونية الزراعية :

سجلت بدايات التعاون الزراعي قيام اول تجمع فلاحي اخذ طابعا منظما في عام ١٩٤٢ في قرية صدد بحمص ، وفي عام ١٩٤٣ تأسست اول جمعية تعاونية زراعية اطلق عليها اسم « الشركة التعاونية الزراعية » في دير عطية ، واخذت هذه الجمعية بنظام الشركات آنذاك لعدم وجود قانون ناظم للحركة التعاونية ، والذي صدر في عام ١٩٥٠ حيث شجع الفلاحين على الانضمام للجمعيات التعاونية الزراعية ، وتتالى بعد

ذلك انتشار الجمعيات التعاونية خاصة في مرحلة الوحدة السورية – المصرية لتبـ[...] نطاقها اكثر فاكثر في ظل ثورة الثامن من اذار .

لقد كان التعاون الزراعي محط مناقشات مؤتمرات الحزب وعلى الاخص المؤ[تمر] القطري السادس والسابع والثامن ، واتخذت بشانه العديد من القرارات والتوص[يات] والاجراءات الكفيلة بتقديم الدعم المادي والادبي وتوفير الكـادر الفني والادار[ي] اللازم لبث واشاعة الحركة التعاونية في عموم أرجـاء القطر وصولا الى النما[ذج] الانتاجي .

ونتيجة للنشاط والعمل الدؤوب الذي بذل في اوساط الفلاحين سواء من جان[ب] الحزب ، او من جانب التنظيم الفلاحي ، فقد بلغ عدد الجمعيات التعاونية في قطر[نا] نحو ٤٥٠٠ جمعية وتستثمر هذه الجمعيات مساحة تصل الى ١٧٦٩٠٥٢ هكتار اي [ما] يقارب ٣٣٪ من مجموع المساحات المستثمرة زراعيا .

لقد تم تصنيف الجمعيات التعاونية الفلاحية في ثلاثة انواع :

الاولى الجمعيات التعاونية المتعددة الاغراض :

تعتبر الجمعيات التعاونيـة المتعددة الاغراض من اكثر الجمعيـات شيوعا وانتشارا في القطر العربي السوري ، ويؤدي هذا النوع من الجمعيات ، النشاطات الزراعية كافة ، كما تقوم بتسويق المحاصيل والمنتجات الزراعية بشقيها النباتي والحيواني ، ولقد بلغ عددها في عام ١٩٨٤ ما يقارب – ٣٢٢٠ – جمعية .

الثانية – الجمعيات التعاونية المتخصصة :

وهي عبارة عن الجمعيات التي تتخصص في مجال انتاجي او خدمي معين ، مثل جمعيات تربية الاغنام والابقار والدواجن ، او جمعيات تسويق الخضار والفواكه ويرمي هذا الشكل من الجمعيات الى تطوير وتحسين الانتاج . وقد وصل عددها في عام ١٩٨٤ الى – ٧٨٦ – جمعية تعاونية متخصصة .

الثالثة – الجمعيات التعاونية الانتاجية :

تعتبر الجمعيات التعاونية الانتاجية من ارقى اشكال التعاون حيث يتحد الفلاحون في تعاونيات زراعية انتاجية من اجل الاستخدام الاكثر انتاجا لوسائل الانتاج (الارض والة العمل والتجهيزات والادوات الزراعية) وكذلك من اجل تخفيف اعباء العمل ورفع مداخيل الاعضاء وتحسين ظروفهم المعاشية ، ويتم توزيع الدخل منها على

اساس كمية العمل والجهد الذي يؤديه العضو التعاوني وذلك بعد اقتطاع النفقات ومخصصات الصندوق العام ، وريع الارض .

ان هذا النوع من الجمعيات لا يزال محدود الانتشار في قطرنا ، اذ بلغ عددها في عام ١٩٨٤ سبع جمعيات تعاونية انتاجية ويعود قلة عددها الى ضعف الـوعي التعاوني لدى الفلاحين . وبغرض تعميم الجمعيات التعاونية الانتاجية والاستفادة من مزاياها فقد اوصى المؤتمر القطري السابع للحزب « يجب العمل على تشجيع قيام الزراعة التعاونية ومزارع الدولة في الاراضي المستصلحة والسير في التحويل التدريجي للجمعيات الزراعية الرائدة الى جمعيات انتاجية » – وعلى هذا الاتجاه ايضا ركز المؤتمر القطري الثامن ١٩٨٥ .

وهذا ما اكده البيان الحكومي الاخير « لقد اعتبرنا مزارع الدولة والجمعيات التعاونية الانتاجية في الاراضي التي قامت الدولة باستصلاحها بعد انشاء المؤسسة العامة لمزارع الدولة رائدة القطاع الزراعي » .

ولا شك ، هناك بعض الصعوبات التي تعترض مسار الحركة التعاونية في قطرنا منها ما يتعلق بتوافر مستلزمات الانتاج الزراعي ونقص السيولة المادية ومنها ما يرتبط بنقص الكوادر الفنية وتدني مستوى التنظيم والادارة بالاضافة الى الصعوبات التكنولوجية والاجتماعية . وتعمل القيادة والدولة ما بوسعهما على تذليل مثل هذه الصعوبات وغيرها من خلال التدرج والطوعية والاثبات والاقناع ، وعبر تقديم الدعم المادي ضمن الامكانات المتاحة ، لتسهيل ونشر الجمعيات التعاونية الانتاجية في قطرنا .

* دور اهمية القطاع الزراعي في القطر العربي السوري :

٣ . ان اهمية القطاع الزراعي في قطرنا لا تخرج عن اطار الاهمية التي يكتسبها في ظروف البلدان النامية ، فهو يشكل مصدرا مهما لغذاء السكان ، ومورداً للصناعة بالمواد الاولية ومورداً لتأمين القطع النادر على طريق تصدير الفائض من الحاصلات الزراعية والمنتجات الزراعية والمنتجات الغذائية الى الاسواق الخارجية .

لقد بلغت قيمة مساهمة القطاع الزراعي نحو (٢٠٠٧٦) مليون ل.س من اصل قيمة الانتاج الوطني والبالغ (١٢٦٨٥٢) مليون ل.س عام ١٩٨٣ ، أي يساهم بما يقارب بنسبة ٢٠٪ من تكوين الناتج الصافي المحلي .

وتساهم المنتجات والحاصلات الزراعية بما يقارب ١٣٪ من اجمالي صادرات القطر ، الامر الذي يمكن من تخفيف نسبة العجز في ميزان التجارة الخارجية السورية .

ان عدد المشتغلين بالزراعة يصل الى ـ ٧١٤٩٨٢ ـ اي ما يقارب ٣٢٪ من اجمالي المشتغلين في القطر ، ومن جراء الهجرة من الريف الى المدينة برزت مشكلة تسرب العاملين الزراعيين الى بقية النشاطات الاقتصادية الاخرى اما فيما يتعلق بالمساحات المزروعة او القابلة للزراعة فهي موزعة وفق ما يلي :

ـ اراضي قابلة للزراعة ـ ٦١،٥ ـ الف هكتار اي ما يعادل ٣٣٪ من مساحة القطر .

ـ اراضي مستثمرة ـ ٥٦٠٧ ـ الف هكتار تمثل ٩٢٪ من الاراضي القابلة للزراعة .

ـ اراضي مزروعة ـ ٤٠٧٠ ـ الف هكتار منها :

ـ اراضي بعلية ـ ٣٤٩٠ ـ الف هكتار

ـ اراضي مروية ـ ٥٨٠ ـ الف هكتار

وهذا يعني ان الزراعة في قطرنا لا تزال تعتمد بشكل اساسي على الاراضي البعلية ، وبالطبع سترتفع مساحة الاراضي المروية في ضوء انجاز مشاريع ري واستصلاح الاراضي التي رصد منها ما يقارب ـ ٢٥٦٠ ـ مليون ليرة سورية .

❋ اهداف التنمية الزراعية :

يرمي القطاع الزراعي الى تحقيق مجموعة من الاهداف تتجلى بالتالي :

١ ـ تركيز الجهد الانمائي في القطاع الزراعي على انتاج السلع من الشقين النباتي والحيواني ، وذلك من اجل تلبية احتياجات المواطنين من تلك السلع وتحقيق الاكتفاء الذاتي وتوفير متطلبات الصناعة المحلية وتحقيق فائض للتصدير .

٢ ـ رفع انتاجية العمل الزراعي من خلال الاستخدام الامثل للموارد الطبيعية والطاقات البشرية والاقلال ما امكن من البطالة المقنعة والموسمية .

٣ ـ زيادة رقعة الارض المستثمرة على طريق استصلاح الاراضي واستغلال الموارد المائية في ري اكبر قدر ممكن من الاراضي ، واتباع احدث الاساليب العلمية في زراعة الاراضي بما يضمن زيادة الانتاج واستقراره .

٤ ـ تطوير الهياكل الاساسية في قطاع الزراعة ، في كل من الادارة والارشاد والبحوث والتسليف والتخزين والتسويق ، وتنمية القواعد الاساسية للانتاج فيه ، والتوسع في استخدام المكننة الزراعية الحديثة .

٥ ـ تنمية وتطوير الثروة الحيوانية والتوسع في اقامة المنشآت الحيوانية الحديثة .

٦ ـ دعم التعاون الزراعي وتامين متطلباته واعتماده كلبنة اساسية للانتاج الزراعي ، وتشجيع الملكيات الزراعية الجماعية ، وتطوير الجمعيات الزراعية باتجاه تحويلها من جمعيات خدمات زراعية الى جمعيات انتاجية .

وبالطبع اذا ما تم تحقيق هذه الاهداف على الصعيد العملي سيشهد قطرنا نقلة نوعية على طريق زيادة الانتاج الزراعي وتحسين الظروف المعاشية لكادحي الزراعة .

❋ الانتاج النباتي :

يساهم الانتاج النباتي وسطيا بنسبة ٧٠٪ من قيمة الانتاج الزراعي والبالغ ١٤٩٧٦ مليون ل.س بالاسعار الجارية ، مما يعكس الاهمية التي يحتلها الشق النباتي في زراعة القطر من جهة ، ويظهر عجز الانتاج الحيواني وقصوره من جهة اخرى . والجدول التالي يبين لنا كميات الانتاج لاهم المحاصيل الزراعية :

النوع	العام	الكمية / الف طن
القمح	١٩٨٣	١٦١٢
الشعير	١٩٨٣	١٠٤٣
العدس	١٩٨٣	٦١
الذرة الصفراء	١٩٨٣	٣٧
القطن	١٩٨٣	٥٢٦
الشوندر السكري	١٩٨٣	١١٨٦
البطاطا	١٩٨٣	٣١٥
البندورة	١٩٨٣	٨٣١
الزيتون	١٩٨٣	١٥٢
العنب	١٩٨٣	٣٨٩
التفاح	١٩٨٣	١٢٩
الحمضيات	١٩٨٣	٩١

في ضوء المعطيات الواردة في اعلاه والمتعلقة بالانتاج النباتي يمكن استنتاج ما يلي :

ـ تدني مردود المحاصيل الزراعية عموما وفي وحدة المساحة خصوصا وتدني انتاجية العمل الزراعي ، وخروج مساحات كبيرة من الاستثمار الزراعي بسبب الملوحة .

ـ نقص المساحات المزروعة بالاشجار المثمرة مما يخلق فجوة بين الطلب المحلي وبين القدرة على تلبيته .

ــ قلة مساحة الاراضي المروية بالنسبة لاجمالي الاراضي المزروعة .

الانتـــاج الحيـــواني :

يحتل الانتاج الحيواني مايقارب ٢٠٪ من قيمة الانتاج الزراعي الامر الذي يؤكد بجلاء تخلف الشق الحيواني عن مواكبة التطور الذي طرا على الشــــق النبــاتي . والجدول التالي يبين عدد الحيوانات / الف راس .

النوع	العام	العدد / الف راس
الاغنام	١٩٨٣	١٣٣٢٦
الماعز	١٩٨٣	١١٥٧
الابقار	١٩٨٣	٦٥٧

انطلاقا من اهمية الثروة الحيوانية في توفير متطلبات الامن الغذائي اوصى المؤتمر القطري السابع « بان تولي الدولة اهتماما كبيرا لقطــــاع تربية الحيوان وتامــين مستلزماته ، وخاصة فيما يتعلق بالسياسة العلفية ، واحتياجات الوقاية الصحيــة لهذا القطاع ، وايصالها الى مراكز الجمعيات الرئيسية ودعم الجمعيات التعاونيـة لتربية الحيوان ، والعمل على تعميمها في جميع مناطق القطر » .

ونتيجة لتطبيق سياسة التكثيف الزراعي وبتاثير رصد استثمارات كبيرة في الخطة الخمسية الخامسة ١٩٨١ ــ ١٩٨٥ ، ونظرا لاعطاء الاولية للتنمية الزراعية في الخطة الخمسية المقبلة عام ١٩٨٦ ــ ١٩٩٠ ، يتوقع أن ترتفع معدلات الانتاج الزراعـــي بوتائر عالية نسبيا ، كما يتوقع ان يطرا تحسن ملموس على الاوضاع المعاشية للفلاحين .

※ آفاق التنمية الزراعية في القطر العربي السوري :

يمكن رصد الافاق المستقبلية في قطرنا من خـــلال البيان الختامي للمؤتمر القطري الثامن المنعقد في مطلع عام ١٩٨٥ ، لقد جاء في البيان الختامي للمؤتمر مايلي « تركز الجهد باتجاه القطاع الزراعي والحيواني وتسريع تنمية هذا القطاع سواء في مجـــال استصلاح الاراضي وبناء السدود او استخدام الالة ، واتخاذ الاجراءات اللازمــــة لتطوير هذا القطاع بما في ذلك توفير مستلزماته » .

كما اكد البيان الحكومي الاخير على اهمية تطوير القطاع الزراعي حيث جاء فيه : « التوجه نحو المسالة الزراعية لتحقيق تحول اقتصادي شامل فيها . فان برنامــج الحكومة يهدف الى الاستمرار في تطوير البنية الهيكلية للاقتصاد الزراعي ، والـــى جعل الانتاجية الزراعية ملبية للطلب الغذائي الاجمالي في القطر والمرتبط بالتزايـــد السكاني . والاعتماد على الزراعة المروية الموسعة بمساحاتها ومنشاتها وعلى التجميع الزراعي والكتلة المتكاملة الهام ، مع توفير المستلزمات من البذار والاسمدة والمبيدات

بغية زيادة الانتاجية الزراعية .. وتضمن ايضا « لقد اخترنا مزارع الدولة والجمعيات التعاونية الانتاجية في الاراضي التي قامت الدولة باستصلاحها بعد انشـــاء المؤسسة العامة لمزارع الدولة رائدة للقطاع الزراعي » .

هذا وتتجلى افاق التنمية الزراعية اكثر فاكثر من خلال الاهداف التي لحظتهـــا الخطة الخمسية المقبلة والتي سيتم التركيز فيها على ثلاثة امور تتمثل ب :

١ ــ الاتجاه كليا نحو الزراعة واستصلاح الاراضي الزراعية واستثمارها .

٢ ــ الاعتماد في اعمال دراسة وتنفيذ مشاريع الاستصلاح على الكوادر الوطنية .

٣ ــ توفير المواد الاولية للصناعة وتحقيق الاكتفاء الذاتي من المحاصيل والمنتجات الزراعية لدعم مواقف قطرنا الصامد تجاه الخطط الامبريالية ، فضلا عن ذلك تم وضع استراتيجية عامة للتنمية الزراعية في قطرنا حتى عام ٢٠٠٠ استهدف زيادة مساحة الاراضي المروية عبر الاستثمار الامثل للموارد المائية ، والعمل على تجميع الحيازات الزراعية في وحدات انتاجية كبيرة تمكن من رفع انتاجية العمل الزراعي ، بالاضافة الى تحقيق التكامل بين الانتاج النباتي والحيواني من جهة وبين الزراعة والصناعة من جهة اخرى ، ورمت استراتيجية التنمية الى تعميق التعاون الاشتراكي وتوفير المستلزمات المادية والمعنوية لانجاحه .

من سياق ماورد يتضح لنا بجلاء ان الاصلاح الزراعي والتعاون الاشتراكي اسلوبان ناجعان في حل المسالة الزراعية حلا جذريا لصالح الجماهير الفلاحية .

واما الصعوبات التي تعترض مسار الاقتصاد الزراعي في قطرنا على تنوعهـــا وتعقيدها ليست بالمعجزة العسيرة الحل ، ومن السهولة بمكان ، تذليلها اذا ما توافر الاصرار والايمان بالهدف . ومن المؤكد ان الثورة الزراعيـــة ضرورة اقتصادية ــ اجتماعية تفرضها مسالة تحرير الجماهير الفلاحية من ســائر اشكال الاستغلال مــن جهة ، كما تمليها مهمة زيادة الانتاج الزراعي وتنويعه لتلبية الطلب المحلي وتحقيــق فائض للتصدير من جهة اخرى .

ان قطرنا بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي في نظرته الى التنمية الزراعية ، يحرص تماما على ان تحقق في اطار قومي . لان التنمية الزراعية الاقليمية تبقى مجتزاة وقاصرة (وان كانت تشكل جزءا من كل) الا اذا تحققت ضمن منظور قومي شامل ، الامر الذي يستدعي من اقطار امتنا العربية انه تواجه مجتمعه معركتي التنمية والتحرير وصولا الى بناء المجتمع العربي الاشتراكي الموحد .

تقارير

حول اعمال مؤتمر الحزب الشيوعي السوفياتي :

الرفيق الأمين العام المساعد يلقي كلمة حزبنا في المؤتمر

المناضل.

انعقد في موسكو ، في الفترة ما بين ٢٥ شباط و ٦ آذار ١٩٨٦ ، المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفييتي في مرحلة تاريخية يمر بها الاتحاد السوفييتي سميت « مرحلة الانعطاف » نحو آفاق جديدة في بناء الاشتراكية المتطورة .

وبلغ عدد المندوبين الى المؤتمر /٥٠٠٠/ مندوبا يمثلون تسعة عشر مليونا من الحزبيين السوفييت .

وشارك في اعمال المؤتمر مئة واثنان وخمسون وفدا من الاحزاب الشيوعية والعمالية والاشتراكية ، ومن حركات التحرر الوطني ، وممثلون عن منظمات عالمية مختلفة ، كما حضرت للمرة الاولى وفود من الاحزاب الاشتراكية - الديمقراطية ومن الاحزاب الاشتراكية المنتمية الى الاشتراكية الدولية ، وبعض الاحزاب الليبرالية وذلك تقديرا لنشاط هذه الاحزاب في الدفاع عن الامن والسلم في العالم .

وجل هذه الوفود القت كلمات التحية خارج قاعة المؤتمر الرئيسة، اي في المصانع والنقابات والمؤسسات الثقافية خارج موسكو ، بينما دعيت

بعض الوفود لالقاء كلماتها امام المؤتمر ، مما يعتبر اشارة واضحة الى اهمية الاحزاب التي تمثلها هذه الوفود في مجمل الحركة الاشتراكية وحركة التحرر الوطني في العالم . وكان من بين هذه الوفود وفد حزب البعث العربي الاشتراكي برئاسة الرفيق الامين العام المساعد للحزب عبد الله الاحمر .

ولقد كان للكلمة التي القاها الرفيق عبد الله الاحمر الامين العام المساعد للحزب في القاعة الرئيسة للمؤتمر ، امام هذا التجمع الهائل لممثلي فصائل الحركة العمالية الاشتراكية والاشتراكية - الديمقراطية العالمية وحركات التحرر وقع ايجابي يشير الى تلك المكانة الرفيعة التي يحتلها حزبنا بين هذه الفصائل . والى الاعتراف الصريح من قبل هذه القوى باهمية نضالنا وعدالة قضيتنا ، وفيما يلي نص الكلمة : »

الرفيق العزيز غورباتشيوف …

الرفاق المحترمون اعضاء المؤتمر …

نشكركم على الدعوة التي وجهها لنا حزبكم الصديق للمشاركة باعمال مؤتمركم السابع والعشرين ، وعلى الفرصة التي اتيحت لنا للتحدث من على هذا المنبر الهام لننقل اليكم ومن خلالكم لجميع الشيوعيين السوفييت والشعب السوفييتي الصديق من شعبنا العربي السوري وحزبنا ، وبتكليف شخصي من امينه العام الرفيق المناضل حافظ الاسد التحيات الحارة والتمنيات الطيبة لمؤتمركم بالنجاح في انجاز المهام المدرجة على جدول اعماله .

ويقدر حزبنا وبلادنا تقديرا عاليا الدعم الذي يقدمه لنا الاتحاد السوفييتي من اجل تحقيق المزيد من التحولات الاجتماعية والاقتصادية وصولا للمجتمع الاشتراكي ، وكذلك للمساندة التي يقدمها للنضال العربي العادل من اجل تحرير الاراضي العربية المحتلة وضمان الحقوق الوطنية الثابتة للشعب العربي الفلسطيني ولا سيما حقه في العودة وتقرير المصير واقامة دولته المستقلة فوق ترابه الوطني .

ايها الرفاق الاعزاء :

ان شعوب العالم بأسره ، وليس الشعب السوفييتي فقط ، تتطلع باهتمام كبير الى مؤتمركم هذا باعتباره حدثا هاما ، والذي

ستشكل قراراته حافزا كبيرا للتقدم المطرد علــــى طريق تعزيز اسس الاشتراكية المتطورة وسندا قويا لشعوب العالم من اجل انجاز مهام التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي وبناء الاشتراكية .

وقد اكدت ذلك الوثائق المعروضة على المؤتمر والتي نصت على الالتزام بتلاحم البلدان الاشتراكية وبوحدة الحركة التحررية والعمالية العالمية ، كما ستشكل قرارات مؤتمركم هذا وتوجيهاته دفعة جديدة نحو توطيد الامن والسلام العالميين وتعزيز عملية مواجهـــة السياسة المتهورة للامبريالية الامريكية الرامية الى زعزعة امن العالم واستقراره ، وتصعيد سباق التسلح على الارض ونقله الى الفضاء الخارجي . وهذا ما تهدف اليه المبادرات السلمية السوفييتية المتعددة لاسيما مبادرة الرفيق غورباتشيوف الاخيرة ، والتي تدعو الى تقليص الاسلحة النووية تمهيدا لتدميرها والتخلص منها ومن مخاطرهـــا الجسيمة على مصير البشرية .

ايها الرفاق والاصدقاء الاعزاء :

ان علاقات الصداقة والتعاون التي تربط بين حزبينا وبلدينــا تتطور وفق خط بياني متصاعد ، حيث شكلت معاهدة الصداقــة والتعاون بين البلدين نقلة نوعية متميزة تعبر عن اماني وتطلعــات الشعبين والحزبين الصديقين في توطيد الصداقة وتعميق التعاون في مختلف المجالات .

ايها الاصدقاء الاعزاء :

لقد حقق شعبنا في سوريا بقيادة **حزب البعث العربي الاشتراكي وامينه العام رئيس الجمهورية الرفيق حافظ الاسد** انجازات متعددة على طريق بناء المجتمع الاشتراكي في بلادنا . بهدي من القرارات التي اتخذتها مؤتمرات حزبنا ، ولقد حققنا ذلك بالرغم من المصاعب والعقبات التي كانت ولا تزال تقف في طريقنا . وترسخت علـــى هذا الاساس اكثر فاكثر دعائم النهج الوطني التقدمي لسورية العربيـــة

واننا نوجه جهودنا الآن نحو تحقيق اوسع تضامن عربي ممكن ضــد عدوان «اسرائيل» ومن يدعمها ، ونواصل النضال من اجل سلام عادل ودائم في منطقتنا ونعمل من اجل وحدة عربية تعزز قوة العرب واستقلالهم .

كما تؤكد سورية التضامن مع كفاح الشعوب ضد الامبرياليــة والاستقلال ، وتدعم نضــال شعــوب آسيا وافريقيــا وامريكــا اللاتينية ضد العنصرية والامبريالية انطلاقا من ايمانها بالترابــط المصيري بين قضايا الشعوب العادلة في جميع ارجاء العالم .

ايهــا الرفاق :

لقد ازدادت مكانة سورية وتعزز دورها الفعال ، بفضــل سياستها المبدئية المعادية للامبريالية والصهيونية وتلاحم جمــاهير شعبنا الكادحة من خلال الجبهة الوطنيـــة التقدمية ، والنظـــام الديمقراطي الشعبي بمختلف اطره وتنظيماته ومؤسساته ، ذلك كله ادى الى **صلابة موقف سورية وتعزيز قدرتها الدفاعية وصمودهــا في وجه مخططات العدوان الامريكي الاسرائيلي** ، لفرض الاستسلام على العرب ، عبر المشاريع والحلول والصفقات المنفردة على غرار اتفاقات كامب ديفيد ونهجهــا الخياني ، واتفاق ١٧ ايار في لبنــان واتفــاق عمان .

ان «اسرائيل» في اطار تحالفها الاستراتيجي مع الولايات المتحدة تستمر في احتلال اراض من جنوب لبنان، وتمارس ارهاب الدولة المنظم ضد الفلسطينيين واللبنانيين . ولقد تطور هذا الارهاب في عمليــة القرصنة الجوية التي قامت بها الطائرات الحربية الاسرائيلية ضــد طائرة مدنية ليبية ، وهذه العملية لـم تأت محض مصادفــة ، **بل جاءت تعبيرا عن طبيعة « اسرائيل » القائمة علـــى العنصرية والارهاب والتوسع والعدوان ، وفي الوقت نفسه تنتهج الولايــات المتحدة سياسة عدوانية على طريق التهديدات الاستفزازية المستمرة ضد سورية وليبيا .**

ان مثل هذه الاعمال العدوانية الامريكية والاسرائيلية لن تثني سورية وجماهير الامة العربية بكاملها عن التصدي الحازم لهذه المخططات ومن مواصلة دعم شعب لبنان في نضاله لتحرير ارضه من المحتلين الاسرائيليين وتحقيق الوفاق الوطني عبر تنفيذ الاتفاق الثلاثي الذي يشكل اساسا وحيدا لحل وطني في هذا البلد الشقيق، يحفظ وحدته وحريته واستقلاله وعروبته ، كما لن تثنيها عن الالتزام بدعم نضال الشعب الفلسطيني لتاكيد حقوقه المشروعة والتصدي لنهج الاستسلام . كما يستمر عملها لتعزيز الصمود العربي من خلال توثيق علاقات التعاون بين مختلف الدول والقوى والتنظيمات التقدمية العربية .

ايها الرفاق :

ان تحقيق سلام عادل ودائم في منطقتنا يعتبر مهمة اساسية لنضالنا الراهن ، وان الشرط الاساسي لهذا السلام لا يمكن تحقيقه الا في ظل التوازن الاستراتيجي بين سورية و«اسرائيل» وان عقد مؤتمر دولي برعاية الامم المتحدة وبمشاركة الاطراف المعنية بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية وبمشاركة فعالة ايضا من قبل الدولتين العظميين يمثل الطريق المناسب للوصول الى هذا السلام .

ايها الرفاق المحترمون :

مرة اخرى احييكم وحزبكم اللينيني العظيم صانع اول دولة اشتراكية في عصرنا ، واحيي شعبكم العظيم الذي يقدم تضحيات جساما من اجل استقرار الامن والسلام العالميين ومن اجل تعايش الشعوب وتقدمها ومناصرة قضاياها العادلة وتطورها .

— عاشت الصداقة بين حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي السوفييتي .

— عاشت الصداقة بين الجمهورية العربية السورية والاتحاد السوفييتي .. وليتعزز النضال من اجل الاشتراكية والسلام في العالم » ...

وكانت التحضيرات لهذا المؤتمر قد بدأت منذ دورة نيسان سنة ١٩٨٥ للجنة المركزية للحزب ودورة تشرين اول ١٩٨٥ حيث طرحت اللجنة المركزية على القواعد الحزبية المشاريع الاساسية التالية لمناقشتها ورفع الاقتراحات والتعديلات عليها :

١ — مشروع النظام الداخلي للحزب مع التعديلات المقترحة .

٢ — مشروع برنامج الحزب — الصياغة الجديدة .

٣ — مشروع الاتجاهات الاساسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في الفترة ما بين ١٩٨٦ — ١٩٩٠ وحتى عام ٢٠٠٠ .

ومشروع « الاتجاهات الاساسية .. » هذا طرح على جماهير المواطنين ايضا علاوة عن القاعدة الحزبية لان مضمونه لا يقتصر على الاطر الحزبية بل يتعداها الى حياة الشعب السوفييتي باكمله .

التقرير السياسي للمؤتمر :

وفي المؤتمر تلا ميخائيل سيرغييفيش غورباتشيوف ، الامين العام للجنة المركزية للحزب ، التقرير السياسي للجنة المركزية ، وهو تقرير شمولي (نحوا من ١٢٥ صفحة) يطرح اطارا عاما للوثائق الثلاث المذكورة ، ويحدد السياسة الخارجية بمبادئها العامة واتجاهاتها الرئيسة من دون الدخول في تفاصيل «القضايا الاقليمية» الناشئة عن الهجمة الامبريالية — الصهيونية — العنصرية — الرجعية في انحاء مختلفة من العالم وعن نضال الشعوب ضد هذه الهجمة العاتية .

ولقد ناقش المؤتمر التقرير السياسي للجنة المركزية ، حيث تحدث حوله واحد وستون مندوبا من اعضاء المؤتمر ، وكان من اهم المداخلات ، مداخلة يلتسن امين اللجنة الحزبية لمدينة موسكو ، حيث اعتمد النقد والنقد الذاتي اساسا لمداخلته واطارا عاما لطروحه ، كما قدم عدد من القادة الحزبيين والرسميين مداخلاتهم على التقرير السياسي ، ومن هؤلاء اندريه غروميكو رئيس هيئة رئاسة مجلس السوفييت الاعلى وسوكولوف وزير الدفاع وليغاتشوف سكرتير اللجنة المركزية وتشيربكوف رئيس امن الدولة وشيفارد نادزه وزير الخارجية وغيرهم .

وتعرضت مداخلاتهم بالتحليل لجميع جوانب الحياة المعاصرة في الاتحاد السوفييتي وللسياستين الداخلية والخارجية ولنشاط الحزب كقوة قائدة وموجهة في المجتمع السوفييتي .

كما تحدث امام المؤتمر العديد من المندوبين الذين جاؤوا من القاعدة الحزبية والجماهيرية ، واغلبهم ابطال الانتاج ، وتركزت مداخلاتهم حول قضاياهم اليومية

ومشاكلهم التفصيلية ، التي تشكل مجتمعة محور نسق الحياةالسوفييتية بشموليتها والتي تكمل وتفصل ما طرحه المسؤولون والقادة السوفييت من خطوط عامة وتحديد عريض للتوجيهات الاستراتيجية للحزب والمجتمع والدولة السوفييتية .

مناقشة التقرير الاقتصادي واقراره :

بعد مناقشة التقرير السياسي وتقرير لجنة التفتيش المركزية معا واقرارهما ، تلا بريجكوف رئيس الوزراء التقرير الاقتصادي « بصدد التوجهات الاساسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في الفترة ١٩٨٦ — ١٩٩٠ وحتى عام ٢٠٠٠ » وهو عرض مركز « لمشروع التوجهات ...... » مع الاخذ بعين الاعتبار الملاحظات والمقترحات التي وردت من القاعدة الحزبية ومن المواطنين على المشروع .

ولقد تضمن التقرير قضايا عدة منها :

١ — تقويم نتائج الخطة الخمسية الحادية عشرة ١٩٨١ — ١٩٨٥ ، حيث تمت الاشارة الى ايجابيات وسلبيات تنفيذ هذه الخطة في بعض المجالات (انتاجية العمل — تطبيق التقدم العلمي — التقني ...) .

٢ — اتجاهات التنمية حتى عام — ٢٠٠٠ — وتحديد المحاور الاساسية للنشاط في هذا المجال .

٣ — الخطة الخمسية ١٩٨٦ — ١٩٩٠ كمرحلة اولى في تطبيق « اتجاهات التنمية .... » .

٤ — العلاقات الاقتصادية الخارجية : تم تاكيد عدة مبادىء اساسية لترتيب هذه العلاقات وتنظيمها منها :

أ — مبدأ التكامل الاشتراكي — في التعامل مع دول المنظومة الاشتراكية الاعضاء في مجلس التعاضد الاقتصادي (سيف) .

ب — مبدأ تطوير « الروابط » الاقتصادية — في التعامل مع الدول الاشتراكية خارج نطاق المنظومة .

ج — مبدأ المساندة والدعم — في التعامل مع الدول النامية التحررية مع اهتمام خاص بالبلدان ذوات التوجه الاشتراكي .

د — مبدأ « المنفعة المتبادلة » — في التعامل مع الدول الراسمالية وفي جو من التعايش السلمي والانفراج الدولي .

ولقد وافق المؤتمر بعد المناقشة المستفيضة على التقرير الاقتصادي واعتبر التوجيهات الواردة فيه اطارا اساسيا يجمع نشاط الحزب والشعب ويوجههما نحو تحقيق الاهداف التي رسمها التقرير .

الاتجاهات الاساسية لسياسة الحزب والدولة كما حددها المؤتمر :

ناقش المؤتمر جميع مجالات النشاط في هذه الظروف الداخلية والدولية التي تتصف « بالتحولات الانعطافية » ، بما يعطيها بعدا تاريخيا مهماً يحدد اسلوب حلها المسارات اللاحقة لتطور المجتمع السوفييتي وترتيب الاوضاع الدولية والعلاقات المتشعبة في عالمنا المعاصر ...

وانطلاقا من هذه السمة « التاريخية » للمرحلة الراهنة تشعبت مجالات البحث والتحليل والمناقشة في المؤتمر لتشمل جميع مجالات الحياة الداخلية والعلاقاتالدولية الامر الذي يجعل من الصعب ، ان لم يكن المستحيل ، ايجاز كل ما طرح وتكثيف كل ما تمت معالجته في محاور اساسية وخطوط عامة .

ولقد اطلق المؤتمر على المرحلة الحالية التي يعيشها الاتحاد السوفييتي والعالم اصطلاح « مرحلة الانعطاف » فاجاز في كلمة واحدة الخصائص الاساسية والسمات المحورية لمرحلة تاريخية بكاملها .

هذه «الانعطافية» تطلب في المجال الداخلي « تسريع وتائر التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، كاستراتيجية طويلة الامد ، وفي المجال الدولي تتطلب « تعزيز النضال من اجل السلام والامن والقضاء كلية على السلاح النووي » ....

« التسريع » و « تعزيز النضال من اجل السلام » يفرضان بدورهما مهمات اكثر تفصيلا وفي جميع المجالات نذكر منها :

١ — في مجال الحزب : — تعزيز دور الحزب على اساس توطيد ممارسة النقد والنقد الذاتي والمحاسبة والانضباط ورفع روح المسؤولية ...

— تطوير اسلوب العلنية في العمل الحزبي . .

— تاكيد القيادة الجماعية ...

٢ — مجال الاقتصاد : — تطبيق نمط التنمية العمودية الذي يعتمد « تكثيف » استخدام وسائل الانتاج بهدف توفير الموارد .

— رفع انتاجية العمل وربط الاجر بالانتاج والبدء بتفهم آلية السوق ومراعاتها ...

٣ — في مجال الادارة : — مناهضة الروتين والبيروقراطية ...

— توطيد بوادر التسيير الذاتي الاشتراكي ...

— المراقبة المستمرة لعمل اجهزة الادارة في القمة والقاعدة ...

٤ – في السياسة الاجتماعية : – رفع مستوى رفاهية الشعب وذلك عبر طريقين :

أ – تطوير الانتاج الاستهلاكي (الفرع ب على حساب الفرع أ)

ب – تطوير المرافق الخدمية :..

٥ – في السياسة الخارجية : – تأكيد المبادرات السلمية وخاصة تلك التي قدمها غورباتشيوف في ١٥–١–١٩٨٦ والرامية الى القضاء كلية على السلاح النووي عبر مراحل محددة (حتى عام ٢٠٠٠) ..

– التأكيد ان الاتحاد السوفييتي لا يطلق نداء السلام قويا من ضعف بل انه مستعد لتطوير قدراته الدفاعية اذا لم يلق نداؤه الداوي اذانا صاغية في الدوائر الامبريالية .

كتاب الشهر

الخارطة السياسية داخل الكيان الصهيوني

عرض الرفيق : نبيل نوفل

مقدمة : اصدر مكتب الثقافة والاعداد الحزبي في القيادة القومية كتابا تحت عنوان الخارطة السياسية داخل الكيان الصهيوني .. ونظرا لاهمية الكتاب الذي شكل مرجعا هاما حول واقع العدو الصهيوني .. ويساعد على تعميق المعرفة ننشر « المناضل » هذا العرض عن الكتاب .

١ – مادة الكتاب :

يعرض الكتاب لمؤلفه الرفيق رزق الياس مادته ضمن فصول ثمانية في ٢٨٢ صفحة ، حيث تضمنت موضوعات هذا الكتاب التعريف ببنية الكيان الصهيوني المصطنع من خلال عرض بعض المواصفات الديموغرافية والاجتماعية لسكانه ، وكذلك المهام الرئيسة التي نفذتها السياسة الاسرائيلية في الحقبة الماضية والتي استهدفت تثبيت وجود هذا الكيان في المنطقة العربية ، وقد بدأ الكاتب بالحديث في الفصل الاول من الكتاب عن المواصفات الديموغرافية والاجتماعية لسكان الكيان الصهيوني المصطنع من حيث توزع السكان اليهود فيه حسب أصولهم الغربية او الشرقية ، مصحوبا ذلك بجداول تبين الاصل ونسبته معتمداً في ذلك على صحف العدو والكثير من الوثائق . وبين من خلال ذلك التفرقة العنصرية التي يقوم بها الكيان الصهيوني المصطنع بالنسبة لليهود أنفسهم حيث يميز بين الاصول الغربية والشرقية ، مؤكدا وجود التمايز العرقي – الطائفي – الطبقي مثبتا ذلك من خلال اقوال الصحف الاسرائيلية نفسها. ثم يعطينا تفصيلات عن التوزع الجغرافي لسكان الكيان الصهيوني ، موضحا خطط الاستيطان الصهيوني المتلاحقة

في اقامة المستوطنات بهدف السيطرة على الاراضي الزراعية للسكان العرب الفلسطينيين .

ويتحدث الكتاب ايضا عن البنية الاسروية داخل الكيان الصهيوني الغريب والتوزع النسبي للاعمار ، متطرقا الى المستوى التعليمي للسكان مصحوبا بجداول توضيحية .

وقد تحدث الكاتب ايضا عن المسالة الطبقية في الكيان الصهيوني المصطنع من حيث الدخل حيث يثبت أن هناك شريحتين :

١ ـ الشريحة الاولى تمثل اصحاب البيارات والاراضي واصحاب المؤسسات والمصارف المالية والتجار وارباب الصناعات .

٢ ـ الشريحة الثانية هي بيروقراطية الهستدروت واحزابه ومدراء المؤسسات الاقتصادية والمعامل الصناعية ومكاتب العمل ويشير الى ان نسب الدخل هي ٢٠٪ للقطاع الحكومي و ٢٠٪ للقطاع النقابي و ٦٠٪ للقطاع الخاص .

ويشير الكاتب الى مشكلة الفقر واسبابها بين السكان اليهود حيث ترتبط هذه المشكلة بالتميز العرقي والطبقي فيلاحظ أن الاغلبية الساحقة من الفقراء هي من الطوائف الشرقية ويؤكد الكاتب ان هذه المشكلة ليست معتمدة على التميز العرقي فحسب فهناك التميز الطبقي حيث يقول :

« اليهود الشرقيون ليسوا كلهم فقراء لكن الفقراء معظمهم يهود شرقيون » .

● وفي الفصل الثاني :

يتحدث الكاتب عن المهام الرئيسة للسياسة الاسرائيلية منذ قيام الكيان الصهيوني وحتى منتصف الثمانينات ، فاضحا بذلك كل اساليبها في المجالات الخارجية والداخلية .

حيث تعتمد هذه السياسة الداخلية على بناء القوات الحربية وتطوير الصناعات الحربية المختلفة بما يتناسب مع نظريته في الحرب الخاطفة ضد العرب ومتطلبات تطوير الاستيطان في الاراضي العربية المحتلة .

وفي المجال الخارجي نجد التركيز على احتواء يهود العالم والعمل على تهجيرهم الى فلسطين وتطوير العلاقات مع دول العالم ، وخاصة الولايات المتحدة الامريكية التي تؤيد السياسة الصهيونية واهدافها العدوانية . كما تطرق الكاتب الى سياسة العدو الصهيوني في التركيز على الدعوة الى التفاوض مع كل دولة

عربية على نحو منفرد من دون شروط سابقة . ويفضح الكاتب اشتراك الولايات المتحدة الامريكية وتخطيطها للغزو الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ بوثائق لبعض قادة العدو ومفكريه انفسهم واشتراك بعض من رؤساء الدول الاوروبية في هذا التخطيط . كما يفضح الكتاب محاولات الصهيونية المتكررة ، ووقوفها في وجه بناء شخصية مستقلة للشعب الفلسطيني مستندا في ذلك الى تصريحات قادة العدو ومفكريهم . وجملة من الوثائق المهمة .

ويشير الكاتب بالتفصيل الى الاهتمام الذي توليه الحكومات الاسرائيلية للجيش واعطائه سلم الاولويات في الكيان الصهيوني وتجهيزه باحدث الاسلحة ليروي النزعة التوسعية العدوانية لقادة العدو ، كما يشير الى اهتمام العدو الصهيوني المتزايد ببناء المستوطنات في الاراضي العربية المحتلة شارحا بذلك تطور عمليات الاستيطان .

● **وفي الفصول (٣ـ٤ـ٥ـ٦ـ٧) :** خصص المؤلف مجالا رحبا للحديث عن النظام السياسي في الكيان الصهيوني المصطنع ومسؤوليات وصلاحيات الحكومة والبرلمان مشيرا الى رؤساء الوزارات والحكومات الاسرائيلية والادوار التي اضطلعوا بها في اثناء تسلمهم للسلطة . ثم تعرض المؤلف بالتفصيل الى الاحزاب والحركات العمالية الصهيونية ومواقفها السياسية التي تدل على انها تكن العداء للعرب وعدم الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني وما تتمتع به من نزعة عنصرية عدوانية « ان الجميع متفقون على عداء العرب وان اختلفت اساليبهم احيانا » . وخاصة منها الاحزاب والحركات الصهيونية المتطرفة ثم ما احتوته وثيقة الخطوط الاساسية لسياسة حكومة بيغن الثانية ، ثم الحديث عن دور الاحزاب والحركات الدينية الصهيونية ومواقفها السياسية ومن اجل تحسين وضع « اسرائيل » والاعتداء على العرب ، ومنع قيام الدولة الفلسطينية . ثم يعرج المؤلف على اهم هذه الاحزاب والحركات وخاصة منها المنتشرة في الوسط العربي واليهودي والمعارضة للصهيونية مستعرضا بشيء من التفصيل بنيتها التنظيمية واهدافها الداخلية والخارجية وموقفها من القضية المركزية للعرب .

وفي الفصل الثامن :

يصل الكاتب الى عدة نتائج واعتبارات منها :

١ ـ سيطرة الفكر الصهيوني على ممارسة سائر التنظيمات السياسية الصهيونية وسيرها داخل الكيان الصهيوني .

٢ – سيطرة النزعة التوسعية العدوانية في خطط وبرامج التنظيمات السياسية الصهيونية .

٣ – التعاظم المطرد في عسكرة الكيان الصهيوني المصطنع .

٤ – وحدانية الاهداف والمخططات الامريكية – الاسرائيلية حول فرض الهيمنة الامريكية على دول المنطقة وضمان التوسع الصهيوني .

ويتضمن الكتاب العديد من الملاحق التي توضح بالتفصيل الدول التي تقيم لها علاقات سياسية واقتصادية مع الكيان الصهيوني الغريب ومستوى هذه العلاقات ، واسماء الوزراء في الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة واسماء اعضاء الكنيست . ويضم ايضا ملحقا كوثيقة حول الخطوط الاساسية للحكومة الاسرائيلية لعام ١٩٨٤ ووثيقة الاتفاق الثنائي الحكومي بين المعراخ والليكود لعام ١٩٨٤ وملحقا حول وجهة النظر الاسرائيلية حول اسباب ودوافع المساعدات الامريكية الى « اسرائيل » . وملحقا خاصا حول وجهة نظر العدو الصهيوني حول ميزان القوى العسكرية بين سورية وبينه عام ١٩٨٤ . وملحقا خاصا حول حجم القوات المسلحة الاسرائيلية .

ويوضح المؤلف ان القاسم المشترك للمنظمات السياسية الصهيونية هو الايديولوجية الصهيونية فكرا وممارسة .

واما ما يظهر بين هذه التنظيمات من خلافات احيانا فهو على حصة كل منها في الكنيست وليس على مواقفها من القضايا العربية .

● ويستنتج الكاتب ايضا :

ان الاحتكارات المالية ومن ضمنها راس المال الصهيوني تجد في الكيان الصهيوني ضمانة اساسية لاستغلال خيرات المنطقة العربية وهي تساهم في الدعم الاقتصادي لهذا الكيان الشاذ .

● ويرى الكاتب :

ان السبيل الوحيد لاحباط المخططات التوسعية للعدو الصهيوني هو في تحقيق الشعار الذي طرحه الرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي رئيس الجمهورية الا وهو تامين التوازن الاستراتيجي مع العدو الصهيوني ، كضرورة ملحة من اجل تحرير الارض العربية المحتلة واسترداد الحقوق المغتصبة وتحقيق السلام .

ويشير ايضا الى ان الاتحاد السوفييتي صديق ولي للعرب ويشيد بهذا التعاون ويعتز به .

نقد الكتاب :

ان هذا الكتاب جاء منسجما مع طبيعة ومواقف الكيان الصهيوني وايديولوجيته العنصرية التوسعية ، وللقوى الامبريالية الداعمة له .

انه كتاب جدير بالقراءة ، لانه يساهم الى حد بعيد بتعريفنا ببنية الكيان الصهيوني وطريقة تفكيره وايديولوجيته العنصرية التوسعية ومعاداته للعرب والى اهم القوى والاحزاب السياسية فيه ومنهجها في التفكير . فالكتاب يعد مرجعا مفيدا حول الكيان الصهيوني وينسجم مع تطلعاتنا لمعرفة ودراسة العدو دراسة دقيقة وموضوعية . وهو يقترب مما قاله ، المناضل الرفيق حافظ الاسد الامين العام للحزب ذات يوم :

« .. يجب الا نتردد ابدا في الحديث عن افكار العدو ، لان العدو يعمل ويخطط في ضوء هذه الافكار وهو يعرفها جيدا ، ويخطط ويعمل في ضوئها فعلام نخبئها نحن ؟! » .

انشطة ووثائق

القيادة القومية

منظمات الحزب القومية داخل الوطن العربي

● تلقت القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي بمناسبة الذكرى الثالثة والعشرين لثورة الثامن من آذار برقيات الحب والاعتزاز والفخر بقيادة حزبنا العظيم وامينه العام الرفيق المناضل حافظ الاسد. وذلك من منظمات الحزب القومية داخل الوطن العربي وخارجه. وكذلك من المنظمات الشعبية والنقابات المهنية داخل القطر العربي السوري ..

وقد عاهد مرسلو هذه البرقيات، الحزب والقائد على متابعة النضال خلف قيادته الحكيمة والشجاعة حتى النصر والتحرير وبناء مجتمع التقدم والاشتراكية.

كما اقامت منظمات الحزب القومية داخل الوطن العربي وخارجه مهرجانات جماهيرية في هذه المناسبة القومية .. شاركت فيها الاحزاب والقوى التقدمية. واستعرضت الكلمات التاريخ النضالي لحزب البعث العربي الاشتراكي، وما حملته ثورة الثامن من آذار من ابعاد قومية وحدوية.

القطر العربي السوري

الرفيق الامين العام للحزب يحدد مسار العمل الوطني والقومي في خطابين مهمين في ذكرى الثورة وافتتاح مجلس الشعب

**** في الذكرى الثالثة والعشرين لثورة الثامن من اذار وفي غمرة احتفالات شعبنا العربي بالذكرى التي شكلت منعطفا اساسيا في مجرى النضال الوطني والقومي - وكانت قاعدة اساسية للعمل الوحدوي الاشتراكي .. الثورة التي استطاع شعبنا العربي في ظلها وبقيادة حزبنا العظيم ولاسيما بعد الحركة التصحيحية التي قادها الرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام للحزب ان تحقق انجازات مهمة في مجالات شتى، تجسدت في بناء صرح سورية الحديثة، التي تعاظم دورها العربي والدولي وتحولت الى قلعة تتحطم عليها كل المؤامرات والمخططات الامبريالية والصهيونية والرجعية المعادية لامتنا.**

الانعطاف الكبير ..

في غمرة هذه الاحتفالات التي عمت كل المدن والقرى رعى الرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام للحزب المؤتمر العام السادس لاتحاد الفلاحين، القى فيه كلمة قومية شاملة اكد فيها أن يوم الثامن من اذار يوم الانعطاف الكبير في حياة سورية، ويوم التحول في مسار الامة العربية. وخاطب جماهير الفلاحين من خلال اعضاء المؤتمر قائلا :

- بوركتم بالارض ٠٠ وبوركت بكم الارض ٠٠ وليدم التلاحم بينكما رباطا لا تبليه الايام ولا يوهنه الزمان ، لانه رباط الزرع والضرع بالحياة والانسان ٠

- ان جهودكم التي تخصون بها الارض انتجت الكثير ٠٠ ومع ذلك فاننا نحتاج جهودا اكبر وعرقا اكثر ٠٠ لتلبية حاجة الارض ووفرة الغذاء ٠٠

الانسان ـ الارض ـ الآلة ـ الانتاج ٠٠

وتحدث الرفيق الامين العام للحزب عن المسالة الزراعية بعناصرها المختلفة :

الانسان ـ الارض ـ الآلة ـ الانتاج واهتمام الحزب والدولة بهذه المسالة فاكد ضرورة بذل الجهود الكبيرة لتوسيع الارض المزروعة والمروية وتحسين الانتاجية، لان المسالة الزراعية مسالة جوهرية يجب ان تعطى اقصى الاهتمام ونرصد لها أهم الامكانات ٠٠ لاننا ندرك ان ارضنا ما زالت اكبر من جهودنا ، ولكي نردم هذه الهوة لا بد من تحقيق التوازن التام بين دعامتي الحياة ـ الارض ـ والجهد ـ خاصة عندما نشاهد طليعة ازمة غذائية اخذت تطل براسها على الساحة العالمية بادئة ببعض القطر مناطق العالم ٠٠

وعاد الرفيق الامين العام للحزب ليخاطب الفلاحين قائلا :

ان الثورة ثورتكم ٠٠ وامكانات الثورة هي امكاناتكم ٠٠ وانتم الان في كل مركز من مراكز القرار ٠٠ وان القيادات في الحزب والدولة دورها هو الدور المنسق والموزع بين الامكانات والادوار لياخذ كل دوره ٠٠ وان نضالكم الطويل المشرف ضد الاقطاع والاستغلال هو الذي جعلكم سادة اموركم وقضاياكم ٠٠ وهو الذي جعلكم واخوتكم في المنظمات الشعبية الاخرى تاخذون دوركم الطليعي والطبيعي في بناء بلدكم وشعبكم ٠٠

تسارع عملية البناء لتحقيق الوطن القوي القادر ٠٠

وفي الحديث عن الانجازات العملاقة على كل صعيد من صعد حياتنا الاجتماعية والوطنية والقومية التي تعيش معنا في مجمل مناحي حياتنا وكل بيت من بيوت هذا القطر قال الرفيق الامين العام للحزب :

ان الثورة ليست قالبا محددا يمكن صبه او الصب على قياسه لتحقيق منجزات محددة مهما كثرت او كبرت ، وان شملت كل مناحي الحياة ، بل الثورة عملية ديناميكية دائمة الحركة والخلق هدفها الانسان الحر المبدع الخلاق ٠٠

كما أننا في ذكرى الثامن من اذار نتذكر الظروف الصعبة التي مرت بها الثورة، والتآمر المتكرر والمتفرع الذي تعرضت له وتغلبت عليه ، ونذكر بفخر مواقف جماهير شعبنا العظيم التي سارعت بقوة واباء وتصميم في مواجهة التحديات دون أن يرهبها نوع التآمر وحجمه فصالت وجالت في المواجهة وربحت كل معركة ، وهكذا وبكل ثقة سنربح في المستقبل كل جولة نخوضها ضد كل تآمر يحرك ضد هذا البلد الصامد ، واذا كنا قد انتصرنا على التحديات ، فما نزال امام تحديات كبيرة ، ولكي ننتصر عليها يجب ان تتسارع عملية البناء ٠٠ ثقافيا ـ سياسيا ـ اجتماعيا ـ اقتصاديا ـ عسكريا ـ بكيفية تحقق الوطن القوي القادر ٠٠

التوازن الاستراتيجي ٠٠

وحول الاطماع الصهيونية قال القائد حافظ الاسد :

في اطار الحلم الصهيوني والفلسفة الصهيونية تسعى « اسرائيل » الى احتلال ارضنا ، وتفتيت امتنا تمهيدا لتهجيرها جماعة بعد اخرى ، ونحن في سورية رأينا ما تخطط له الصهيونية وفهمناه منذ زمن بعيد ، وقرارنا ان « اسرائيل » لن تحقق ما تحلم به وتخطط له ، ولهذا علينا ان نستعد وعندما رفعنا شعار التوازن الاستراتيجي كنا ندرك ان هذا لا يعني توازن دبابة بدبابة ومدفع بمدفع فقط ٠٠ بل يعني التوازن في مختلف جوانب الحياة السياسية والبشرية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعسكرية ، وان اهم عناصر النصر في معارك الحياة ومواجهة الاخطار هو الانسان ٠٠ فلنستمر في بناء الانسان المؤمن بوطنه ، ولنعلم اولادنا حب الشهادة ، فالشهادة خلق الانسان ، وفضيلة الفضائل وشجاعة الشجاعة وفروسية الفروسية ٠٠ وذكر الرفيق الامين العام للحزب من خلال خطابه القومي عددا من الشهداء باسمائهم كنموذج للعطاء والتضحية ٠٠ وعن بطولات قواتنا المسلحة قال : ان المرء عندما يتحدث عن الشهادة لا يمكن ان تفارق ذاكرته وتفكيره صورة البطولات الخارقة لقواتنا المسلحة وقدرة التضحية التي تتمتع بها والتي لا حدود لها ، وقد اثبتت ذلك في المعارك المتكررة مع قوات الغزو الصهيوني ٠٠ وشهداؤنا في البر والبحر والجو هم الذين صححوا حركة التحرير العربي في اصعب مرحلة من مراحله ، وهم الدافعون عن كرامة الامة العربية والمحطمون لكل محاولات فرض الاستسلام ٠٠

❊❊ ان الخطاب القومي الشامل للرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام للحزب في ذكرى الثورة بمجمله ابرز استراتيجية حزبنا ومواقفه من اهم الاحداث الاكثر الحاحا بالنسبة لحزبنا وامتنا العربية ٠٠٠

في افتتاح مجلس الشعب

● **وفي خطاب قومي آخر في حفل افتتاح الدور التشريعي الرابع لمجلس الشعب تحدث الرفيق الامين العام للحزب عن اهمية تعزيز وترسيخ الديمقراطية الشعبية وممارسة الشعب مسؤولياته عبر مؤسساته الدستورية وفي مقدمتها مجلس الشعب ، وواجب اعضائه ممارسة الصلاحيات التي منحهم اياها الدستور من خلال التشريع والرقابة المستمرة على تطبيق الانظمة والقوانين ، واشار الرفيق الامين العام للحزب الى اهمية الرقابة بشكل عام وكونها تعنينا جميعا بصفتنا مواطنين ، مؤكدا ضرورة أن يؤدي كل واحد منا واجبه كما يجب أن يؤدي بدقة وأمانة لاجتياز الكثير من العقبات التي تقف في طريقنا ، وشدد في خطابه المهم في مجلس الشعب على دور الصحافة ووسائل الاعلام في الرقابة مؤكدا انه دور مهم جداً فقال :**

الرقابة حق وواجب ..

« يجب أن تتسع صدورنا ونفوسنا للرقابة وما تقتضيه من نقد وتحليل وعلينا جميعا مراقبين ومراقَبين أن ندرك ان الرقابة لا تعني اطلاق النار ، ولا تهدف الى القتل ، لا تعني العداوة ولا تهدف الى التشفي والتجريح ، بل تعني البحث عن الحقيقة ووضعها امام الناس ، تعني الكشف عن الخطأ لاستدراكه ، وتبين الصواب لتعزيزه ، تعني المشاركة في مسؤولية العمل وتترجم بالتالي تعاون الجهود وتكاملها في انجاز العمل المطلوب – من هنا فالرقابة حق لنا وواجب علينا – كلنا سواسية ، ولا احد فوق الرقابة ، لان الرقابة سلاح الشعب وقراره .. فليسر الاعلام .. وليسر الجميع في اداء واجباتهم وممارسة حقوقهم دون تردد ولا وجل ، بوعي ومسؤولية وتكافع الخطأ والخطيئة كي نبنى وطن التقدم والاشتراكية » .

صلابة جبهتنا الداخلية ..

وانتقل الرفيق الامين العام للحزب الى الحديث عن جبهتنا الداخلية فاكد ان جميع الاحداث التي مررنا بها وجميع المؤامرات التي تعرضنا لها قد اثبتت صلابة جبهتنا الداخلية وصمود شعبنا وقدرته على المواجهة ، وان هذا لا يعفينا من العمل الدؤوب الجاد لسد الثغرات واستمرار العمل لبناء قاعدة اقتصادية قوية قادرة على تلبية وتوفير حاجات الشعب ومستلزمات الدفاع ودفع حركة التقدم والتطور ، وعلينا استنفار قوانا البدنية والعقلية لكي نتغلب على جميع المعوقات الذاتية بداية .. والموضوعية نهاية .. والعمل على زيادة الانتاج وترشيد الاستهلاك ..

مصير المستسلمين ..

وعن طبيعة الصهيونية العدوانية وسياستها التوسعية اكد الرفيق الامين العام للحزب بان « اسرائيل » لن تحقق ما تريد وان الجميع يعرف مصير المستسلمين مثال جعفر نميري (تاجر الفلاشا) الذي اسقطه شعب السودان وما زال يلاحقه ،والسادات الذي اراد بتوقيعه صك الاستسلام في كامب ديفيد أن يعزل شعب مصر ، ففشل بذلك، فشعب مصر العظيم لن يقبل الهيمنة الصهيونية وجماهير مصر تتابع كفاحها لمحو آثار صك الاستسلام ، ولن تقبل ارادة الولايات المتحدة و « اسرائيل » في تحويل مصر الى محمية « اسرائيلية » لان عسكري « مواطني مصر من اكثر المواطنين كرها لمخططات العدو الصهيوني ولن يرضوا بالوقوف موقف المتفرج بينما «اسرائيل» تحاربنا وتحتل ارضنا ولن يرضوا أن تعقد مصر معاهدة كامب ديفيد المهينة التي انتقصت من سيادة مصر ، وعزلتها عن دورها التاريخي ووضعتها في الموقع المعادي لموقعها الاصيل تاريخيا وماديا وروحيا .. ولن يكون شعب مصر الا معنا .. ولن تكون الا معه .. وبطولات سليمان خاطر ، وعلي طلبه حسن ، وحسن سالم محمد ، ما هي الا تعبير عن ضمير شعب مصر وبطولاته وتأكيد للغضب الكامن في نفوس ابنائه ، وان ما يحدث في مصر هذه الايام هو من هذا الغضب الكامن .. وياليت حسني مبارك يقف امام كل الجماهير المصرية ليقول لها ها هي اتفاقيات كامب ديفيد امزقها تنفيذا لارادتكم ، وان حرية مصر لا تباع ولا تشترى ، وارادة مصر لا تقيدها وريقات وضعها رجل بمعزل عن التاريخ الحقيقي والارادة الحقيقية لشعب مصر ، عندها سيكون عرس مصر ، وعرس الجماهير العربية ، وهاهو شعب لبنان الصغير عددا والذي يعيش ظروفا صعبة لم يقبل ان يسلم « لاسرائيل » ورقة صغيرة تؤثر في وطنيته وسيادته وحريته ، وظل يقاتل الى ان فرض الغاء ما ارادت « اسرائيل » و « امريكا » فرضه عليه ، وهو صورة أخرى من صور كامب ديفيد ، وسوف يفرض في نهاية الامر اخراج الصهاينة من كل شبر من لبنان ، فكيف بمصر البلد الكبير والشعب الكبير عددا والكبير تاريخيا ان يخاف او يخوف ..

جنوب لبنان ضمير الامة ..

وعن جنوب لبنان قال الرفيق الامين العام للحزب ، لبنان في جنوبه هو ضمير الامة ، ولذا نقف معه الامة .. واننا مع لبنان وفي جنوبه بالقول والعمل ولقد اثبتنا ذلك وسنظل نثبته ..

كما قدر الرفيق المناضل حافظ الاسد الاخوة في الارض الفلسطينية المحتلة تقديرا عاليا ، تصعيد كفاحهم لانه السبيل الصحيح لتحرير الارادة واسترجاع الارض ، وقال:

سنظل معكم الى ان تتحرر ارادتكم وتسترجع ارضكم وتشاد دولتكم ، وسنظل ابدا مع الصامدين المكافحين المتمسكين بحقهم ، ولن نكون ابدا من المتسلمين اليائسين واليئسين ..

الجولان قمة الكارثة للعدو الصهيوني ..

اما أبناء شعبنا في الجولان فخاطبهم المناضل حافظ الاسد قائلا :

« لتطمئن نفوسكم ، فوطنكم بخير .. ولا خوف على الجولان ، لان اثني عشر مليونا من المواطنين السوريين قادرون على استرجاع الجولان ، ولا يخالجنا قلق ولا شك في هذا الامر ، واذا عمل الاسرائيليون على ان يكون الجولان ضمن حدودهم فستعمل على ان يكون الجولان في وسط سورية وليس على حدودها ، ان اطلاق النار الذي قام به رجال الامن الاسرائيلي .. لن يزيدنا الا حقدا على هذا العدو التاريخي وتصميما على مكافحته حتى النهاية . وقد يكتب التاريخ أن الجولان كان قمة الكارثة بالنسبة للاسرائيليين » .

** ان خطاب الرفيق الامين العام للحزب في افتتاح دورة مجلس الشعب ، لم يكن موجها لجماهير شعبنا في القطر العربي السوري ، بقدر ما كان موجها لكل جماهير الامة العربية .. فقد حدد بشكل قاطع ما يجب عمله على النطاق القومي لمواجهة « اسرائيل » ومن يدعمها في سياستها العدوانية التوسعية ، كما كان في مجمله منهاج عمل قومي لكل من يتطلع الى تحرير كل شبر من تراب وطننا العربي أينما كان .

.. وقد أقيمت في كل محافظات القطر العربي السوري المهرجانات الخطابية التي عددت المنجزات العظيمة التي حققتها الثورة على جميع الصعد وفي مختلف الميادين وبخاصة بعد الحركة التصحيحية التي قادها الرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام للحزب ، وقد تم في هذه المناسبة تدشين ووضع حجر الاساس للمزيد من المشاريع الحيوية والصناعية الهامة في مختلف المحافظات ..

** لقد شكلت ثورة الثامن من آذار مفصلا اساسيا في حياة قطرنا .. ومنعطفا حاسما في تاريخ النضال القومي الحديث ، وجعلت من سورية وخاصة بعد الحركة التصحيحية قاعدة النضال القومي ، وركيزة لقوى الصمود والتصدي وخط المواجهة الاول ضد اعداء الامة العربية وسدا منيعا في وجه مخططات العدوان والتآمر والحلول التصفوية ..